ذكرى
آلامه المقدسة

قصة الحب العجيب

رؤية أبائية

عندما نظرت الوالدة الحمل والراعى مخلص العالم على الصليب معلقاً، قالت وهي باكية: "أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صلبوتك الذي أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابني وإلهي".

دار الكتاب المسيحي

ت/ ٥٧٤٠٠٨٣ـ ٥٧٨٣٢٦٣

الإدارة: ٣٠ شارع شبرا- الدور التاسع

المكتبة: ١١شارع ليبون

www.darelketab.com.eg

E. mail: dar@scc.com.eg

إيبارشية أيرلندا، إسكتلندا
و شمال شرق إنجلترا، وتوابعها
كنيسة السيدة العذراء والقديسة دميانة
دبلن ـ أيرلندا

ذكرى
آلامه المقدسة

قصة الحب العجيب

رؤية آبائية

تأليف

القس أثناسيوس فهمى چورچ

اسم الكتاب : ذكرى آلامه المقدسة (رؤية آبائية)
المؤلف : القس أثناسيوس فهمى جورج
الناشر: دار الكتاب المسيحى - ٣٠ ش شبرا - القاهرة
المطبعة : اوتوبرنت ت : ٥٨٧١٠٠٢
رقم الإيداع : ٥٩٨٩/٢٠٠٠

المراسلات:

البريد الإلكترونى:
ichthos@indigo.ie

العنوان البريدى:
Rev. Fr. Athanasius George
Church of St Mary & St Demiana,
4 / 5 The Pines, Herbert Road,
Bray, Co. Wicklow,
Republic of Ireland

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازه المرقسية

نيافة الأنبا انطونى
اسقف ايرلندا واسكتلندا وشمال شرق انجلترا

مقدمة

يتضمن هذا الكتاب تأملات روحية ولاهوتية وطقسية من أجل فهم أفضل لأسبوع آلام الرب المقدسة، وهى فى جملتها رحلة شركة مع المسيح المصلوب من أجل خلاصنا وشفاء طبيعتنا.

يسرنى أن أقدمه إلى أبناء كنيستى الذين أنا مدين لهم بالحب والتشجيع، أقدمه لكل من يشتاق إلى أن يعيش خبرة البصخة المقدسة التى لخلصنا الصالح، لكى يكملها لنا المسيح إلهنا ويباركنا بكل بركة روحية ويرينا فرح قيامته سنين كثيرة.

والتأملات التى نقدمها فى هذا الكتاب هى تأملات آبائية تعكس روحانية وفكر آباء الكنيسة الأولى، إلا أننى حرصت على تقديمها فى صورة مبسطة أكثر منها دراسية لنتذوق لذة الحوار والجلوس عند صليب المخلص.

إننى أضع هذا الكتاب عند أقدام المسيح المصلوب الذى أحبنا وفدانا، ليجعله سبب بركة لكل من يقرأ ويعمل، ذاكراً على الدوام محبته وإحساناته وخلاصه الثمين ونعمته التى تفاضلت جداً.

ولا يفوتنى أن أشكر محبة وتشجيع أبينا نيافة **الأنبا أنتونى** أسقفنا المحبوب، وكذا مساندة إخوتى خدام كنيسة السيدة العذراء والشهيدة دميانة بدبلن – ايرلندا، الذين أعانونى على إستكمال نشر سلسلة الأبائيات « **إكثوس** ΙΧΘΥΣ» راجياً صلواتهم لأجلى، وصلوات أبينا الجزيل البركة والغبطة **البابا شنوده الثالث** وشريكه فى الخدمة الرسولية نيافة **الأنبا أنتونى** أسقف أيرلندا وإسكتلندا وشمال شرق إنجلترا وتوابعها.

وإلهنا المبارك الذى صُلب عنا ودعانا لمجده الأبدى فى المسيح يسوع يحفظ كنيسته وشعبه، ويحفظنا جميعاً فى إيمانه بلا لوم ولا عثرة لحين ظهوره له المجد والبركة والعزة إلى الأبد، عمانوئيل إلهنا وملكنا.

تذكار أسبوع الآلام المقدسة

القس أثناسيوس فهمى چورچ
دبلن – ايرلندا
Dublin -Ireland

أسبوع الآلام
فى طقوس الكنيسة

من أجل فهم أفضل لأسبوع البصخة

أسبوع الآلام هو «**أسبوع البصخة**» أى أسبوع العبور، تلك الآلام التى نعيشها فى رحلة هذا الأسبوع مع الكنيسة ليكون لا أُسبوع آلام عقيمة بل آلام عبور وآلام فصح حى للمسيح فصحنا الحقيقى الذى ذُبح لأجلنا (١كو ٥:٧) فإذا قيل أن الصوم الكبير هو ربيع السنة الروحية، فإن أسبوع البصخة هو ربيع الصوم الكبير، لأنه أسبوع الدخول فى شركة آلام المسيح ومن هنا جاءت تسميته بالأسبوع المقدس *Holy Week* أو أسبوع الفصح المقدس كما جاء بأوامر الرسل.

وفى هذا الاسبوع تتشح أعمدة الكنيسة بالسواد والأيقونات ايضاً تُجلل بالسواد وكذلك المنجلية وبعض جدران الكنيسة، وغاية الكنيسة من ذلك أن تذكرنا بآثامنا التى سببت للمخلص هذه الآلام المرة، وأن يعيش المؤمنون أحداث آلام الرب الفصحية إشارة إلى حزن التلاميذ حين أنبأهم يسوع بموته إذ «ابتدأوا يحزنون» (مر١٤:١٩).

وتتبع الكنيسة مسيحها المصلوب فنخرج معه خارج المحلة لنحمل عاره (عب١٣:١٣)، فنغلق الهيكل ونترك الخورس الأول، خورس القديسين، ونقضى عبادة أيام البصخة فى الخورس الأخير، بعيداً عن قدس الأقداس، بعيداً عن الهيكل والمذبح، لنتذكر أن مسيح الكنيسة المصلوب أبعدوه خارجاً وهو القدوس، ونحن معه حيثما أبعدوه لتكون محلتنا معه حيثما كان، لأنه كان خارج المحلة ليدخلنا إليها آخذاً محلتنا لنأخذ نحن محلته.

وتتركز القراءات فى هذا الاسبوع على أحداث الآلام متتبعين المسيح فيه خطوة

بخطوة فى الأناجيل الأربعة ونبوات العهد القديم، لذا تضع الكنيسة فى كل ساعة من ساعات أسبوع الآلام فصولاً معينة من نبوات العهد القديم ومن المزامير والأناجيل والطروحات والعظات والطلبات المناسبة وتسبحة البصخة. هذا وتأتى فصول القراءات المتضمنة آلام المسيح فى ترتيب يتناسب مع سير أحداث الأسبوع الأخير من حياة الرب على الأرض، ويسير هذا الترتيب على محور واحد ونظام واحد فى كل ساعة من الساعات.

وتوقد شموع ثلاثة يُقال أن الأولى تشير إلى النبوات والثانية إلى الإنجيل والثالثة إلى رسم تذكار الآلام، وهى فى جملتها تذكار بأن المسيح هو نور العالم كله الذى تنبأ عنه الأنبياء وكرز به الرسل وتنادى به الكنيسة. فعلامة الصليب هى علامة ابن الإنسان نور العالم الذى أبطل الموت بموته وأنار الحياة والخلود بواسطة إنجيله (٢تى١:١٠).

وتطلق الكنيسة على أربعاء البصخة اسم أربعاء أيوب، وربما ترجع تسميته بـ «**أربعاء أيوب**» إلى أنه كان يُقرأ فى هذا اليوم سفر أيوب الصديق، وكذا للرموز التى يرمز بها أيوب الصديق فى آلامه للمسيح (أى١:٩، ٢:٤، ٤٢:١٠) وفى هذا اليوم يتلى ميمر هذا البار الذى كان رمزاً للمسيح فى تجاربه وآلامه ونصرته.

أيوب البار

وكذلك تطلق الكنيسة على يوم الخميس الكبير اسم **خميس العهد** لأن مخلصنا أعطانا فيه عهداً جديداً، إذ منحنا جسده عربوناً أبدياً «دمى الذى للعهد الجديد» (مت٢٦:٢٨) وتسمى هذا اليوم ايضاً بخميس العهد لأنه اليوم الأول للشريعة الجديدة.

تمارس الكنيسة صوم يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع على مدار السنة منذ العصر الرسولى، لأن فى الأربعاء تذكار التشاور على تسليم الرب، وفى يوم الجمعة تذكار صلبه وعمل الفداء العجيب، ولكن لا يصاما فى أيام الخماسين المقدسة.

تسمى الكنيسة يوم السبت بـ «**سبت الفرح**» لأنه يوم فرح وتهلل لنفوس المفديين وللأبرار الذين رقدوا على رجاء الحياة الأبدية، والذين ذهب إليهم المسيح فى تلك الليلة وقال لهم فيها «اخرجوا» (أش٤٩ :٩) تلك الأرواح التى فى السجن (١بط٣ :١٩) والتى ماتت على رجاء مجئ المخلص مشتهى كل الأمم (حج٢ :٧). ويسمى ايضاً بـ «**سبت النور**» لأن فيه أشرق نور القبر «ويكون قبره مجداً» (أش١ :١٠) وخرجت من الحبس كل نفوس المأسورين من بيت السجن والجالسين فى الظلمة (أش ٤٢ :٧).

ولا تُصلى صلوات الأجبية فى أسبوع البصخة ويُستعاض عنها **بتسبحة البصخة (ثوك تا تى جوم)** لكى نتفرغ لآلام المسيح فقط، فإذ تصنع الكنيسة تذكار آلامه، اختارت من المزامير ما يشير إلى آلامه ورتبت استعماله. وتترك الكنيسة استعمال المزامير فى هذا الاسبوع مكتفية فقط بما يتعلق بالآلام الفصحية.

لا تُصلى القداسات فى الثلاثة أيام الأولى من أسبوع البصخة (الإثنين والثلاثاء والأربعاء) وذلك لأن الرب لم يكن قد رسم بعد سر الإفخارستيا، أما فى يوم الخميس الكبير فالكنيسة تصلى القداس الإلهى تذكاراً لتأسيس السر والذى أعطانا فيه عهداً جديداً، ولا يخفى أن ذبيحة القداس هى بعينها ذبيحة الصليب ويسوع لم يقدم ذاته إلا فى يوم الجمعة. هذا وخروف الفصح كان يبقى تحت الحفظ بغير ذبح فى هذه الأيام الثلاثة، ويذبح فى مساء اليوم الرابع عشر وكان رمزاً للمسيح، أما إقامة القداس يوم الخميس فهى لأن الرب قدم فيه جسده ودمه الأقدسين عربوناً للمجد الأبدى.

أسبوع الدموع

إذ أن الرب قد بدأ هذا الاسبوع بالدموع، فبكى عند قبر لعازر (يو١١ :٣٥) وبكى على أورشليم «نظر إلى المدينة وبكى عليها» (لو١٩ :٤١)، لهذا تحاول الكنيسة أن تجمع دموع الرب فى زق عندها لترسم فى أذهان أبنائها صورة صلب المخلص وفقاً لقول الرسول بولس: «أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً» (غلا ٣ :١) لتذكرهم بما احتمله من الآلام لأجلهم ولترشدهم إلى التوبة والرجوع للتمتع بالخلاص العجيب.

تسبحة البصخة (لك القوة والمجد.....)

أُخذت هذه التسبحة من صلاة المسيح (مت٦ :١٣) والبعض الآخر من سفر الرؤيا (رؤ ٤ :٩، ٥ :١٢)، وتنشدها الكنيسة مع الملائكة الذين هم أمام العرش يسبحون الحى إلى أبد الأبدين. وتعتبر هذه التسبحة إعلان اعتراف الكنيسة بالخلاص لإلهنا لأن به نلنا الكرامة والمجد والبركة والخلاص، معترفين بقوته ومجده وبركته وعزته، مقرين أنه إلهنا وملكنا، ونعترف بسلطانه لأنه ملك الدهور كلها الذى لا يفنى (١تى١ :١٧). وتكرر هذه التسبحة ١٢ مرة لأن الكنيسة رتبت لكل صلاة من صلوات السواعى ١٢ مزموراً، هذا العدد المذكور فى (رؤ٧ :٤) والذى يرمز إلى المختارين، لذا نردد هذه التسبحة راجين بتكرارها أن نكون فى عداد المختارين الذين تمتعوا بالخلاص الثمين. وتسبح الكنيسة هذه التسبحة تمجيداً لمن تألم لأجلها، وبهذا تعلن اعترافها بأن الذى نعيش تذكار آلامه هو حى إلى الأبد. ولأن الكنيسة رتبت لكل صلاة من صلوات السواعى ١٢ مزموراً، فهى تكرر هذه التسبحة ١٢ مرة وتختمها بالصلاة الربانية مؤكدة أن الذى صلب هو الله الظاهر فى الجسد، لذا نسبحه فى قوته لأنه قوتنا وفى مجده لأنه مجدنا الأبدى وفى بركته لأنه باركنا وفى عزته لأنه عز شعبه إلى الأبد.

ومن الملاحظ فى تسبحة الآلام أننا نقول فى المقطع الأول منها: «لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين. يا عمانوئيل إلهنا وملكنا»، فى صيغة الجمع، وفى مقطعها الثانى نقول: «.... يا ربى يسوع المسيح مخلصى الصالح» بصيغة

المفرد؛ والغرض من ذلك التأكيد على أن ما عمله المسيح على الصليب يحتاج إلى إيمان شخصى لقبوله، كما يؤكد أن المسيح عندما مات على الصليب، مات لأجلى ولأجلك شخصياً، مات لأجل كل انسان فينا باسمه وشخصه. لذلك نجد الرسول بولس يؤكد على هذا المفهوم الشخصى بقوله: «أحبنى (أنا شخصياً) وأسلم نفسه لأجلى» (غلا٢ :٢٠). وتعتبر هذه التسبحة شهادة بألوهية وربوبية المسيح المصلوب نرددها مع السمائيين (رؤ٧ :٤) للمسيح الذى معنا عمانوئيل إلهنا وملكنا.

وتضيف الكنيسة فى تسبحة البصخة «قوتى وتسبحتى هو الرب وقد صار لى خلاصاً» وهو نفس المزمور الذى يسبح به اليهود بعد أكل خروف الفصح تذكاراً لخروجهم من أرض مصر، وهو المزمور الذى سبح به التلاميذ ايضاً مع الرب يسوع ليلة آلامه: «ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (مت٢٦ :٣٠). وقد أخذت الكنيسة هذه التسبحة واستخدمتها فى عبادة المسيح المصلوب يوم الجمعة العظيمة. ذلك لأن المسيح أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة. نسبحه فى أسبوع آلامه لأنه قوتنا وصخرتنا وملجأنا ومنقذنا ونصرتنا الذى صار لنا خلاصاً من عدونا، فخلاص الرب مرتبط دائماً بقوته، لأن قوة الله للخلاص لكل من يؤمن به (رو١ :١٦).

وليس إعتباطاً أن تختار الكنيسة هذه التسبحة، فالرب يسوع فى صلاته ليلة آلامه خاطب الآب قائلاً: «أيها الاب قد أتت الساعة (ساعة الصليب). مجد ابنك ليمجدك ابنك ايضاً.... أنا مجدتك على الأرض. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته، والأن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم» (يو١ :١-٥). فمجد المسيح هو آلامه وموته التى لأجل خلاصنا وإن بدت فى مظهرها عاراً وهواناً وموتاً، إلا أنها كانت سلم المجد الذى رفعنا عليه ليجذبنا من فوقه وليدوس الموت ويظهر قيامته، ويعلن لكنيسته أنه «كان ينبغى أن يتألم بهذا ويدخل إلى مجده» (لو٢٤ :٢٦) والكنيسة تمجده فى هذه التسبحة لأنه قهر الجبار عدونا أبليس وانتزع الغلبة لحسابنا.

القبلة

منعت الكنيسة القبلة بداية من عشية الأربعاء إحتجاجاً على قبلة يهوذا الخائنة للرب، ويستمر هذا الأمر حتى يوم السبت، حتى لا تكون القبلة غاشة، بل إن الإنجيل نفسه لا يقبل فى قداس خميس العهد من أجل قبلة يهوذا هذه، فقد ذهب يهوذا الاسخريوطى إلى اليهود للاتفاق معهم على الثمن الذى يدفعونه لكى يخون المسيح فى مساء يوم الأربعاء، لذلك بحسب تقليد كنيستنا القديم منعت القبلة فى ذلك اليوم.

الجنازات

منعت الكنيسة إقامة أية صلوات تجنيز فى هذا الاسبوع وذلك لأنها منشغلة بتذكار آلام وصلب وموت ابن الله، لذا رتبت الكنيسة ألا نشترك فى أى حزن آخر غير آلام المسيح عريسها، ولهذا يتم الإكتفاء بالجناز العام بعد قداس أحد الشعانين. فإذا رقد أحد المؤمنين يكتفى بالصلاة وقراءات الفصول الإنجيلية دون رفع بخور.

قداس اللقان

تصلى الكنيسة قداس اللقان فى يوم خميس العهد تذكاراً لغسل السيد المسيح أرجل تلاميذه فى هذا اليوم، لهذا أخذ هذا التذكار عن المسيح نفسه ورسله الأطهار، ويتمنطق الكاهن وينحنى ليغسل أرجل المؤمنين على مثال السيد والمعلم.

الجمعة العظيمة

تحتفل الكنيسة بتذكار صلب المخلص فى يوم الجمعة الكبيرة لأن الصليب كان فيه (مت٢٦ :٢ ، لو٣ :٥٦) وتقوم بوضع أيقونات الصلبوت مرتفعة إشارة إلى ارتفاع يسوع على الصليب عن الجميع «كما رفع موسى الحية فى البرية كذلك ينبغى إن يرفع ابن الانسان» (يو٣ :١٤) ليجذب إليه الجميع (يو١٢ :٢٣). وكما أن تلك الحية كان كل من ينظر إليها يشفى (عد ٢١ :٥) كذلك يسوع المصلوب يشفى

الذين لدغتهم الحية القديمة أى أبليس (رؤ٢٠ :٢). وتمارس الخدمة بالملابس الكهنوتية السوداء إشارة إلى حزن الرسل الذين لما أخبرهم الرب بآلامه وموته ابتدأوا يحزنون (مر١٤ :١٩)، وتطفأ الأنوار والشموع من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة لأن الشمس حجبت أشعتها حزناً على مبدعها شمس البر ولأن إله الطبيعة يتألم، وتلك إشارة إلى الظلمة التى مكثت على الأرض ثلاث ساعات يوم الصلب كقول الإنجيل (مر١٥ :٣٣). هذا ونقول مئة مرة كيرياليصون بالميطانيات فى كل جهة من جهات المسكونة الأربعة لنشهد أن هذا المسيح الذى تألم وصُلب ومات هو رب المجد وأنه حاضر فى كل مكان ولا يخلو منه مكان وأنه مات من أجل جميع الناس فى سائر أنحاء الأرض كفارة لخطايانا (أش٤٣ :٥، تث٤ :٣٢)، وبعد الميطانيات نطوف بأيقونة الصليب إشارة إلى ما فعله يوسف الرامى ونيقوديموس حيث أنزلا جسد المسيح من على الصليب بإكرام جزيل، ونحمل معنا كتب البصخة والإنجيل لكى نتذكر ما صليناه من أول الاسبوع لنعمل به ونعيش رحلة الآلام وموت الرب حتى نهايتها، ثم نأتى إلى تذكار الدفن الذى يمثل ما فعله يوسف ونيقوديموس وقت وضع جسد المخلص فى القبر، عندما نحمل أيقونة الدفن ملفوفة فى ستور من الكتان النقى إشارة إلى اللفائف والأطياب ونضعها على المذبح الذى هو القبر الحقيقى ونضع عليها الورود والعطور بحسب ما صنع يوسف ونيقوديموس، وبعد ذلك نضع ستراً إشارة إلى الحجر الذى وُضع على قبر المخلص يوم دفنه (مت٢٧ :٩). ثم نضع شمعدانين أحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب إشارة إلى الملائكين اللذين كانا جالسين عند القبر بثياب بيض واحداً عند الرأس والاخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً (يو٢٠ :١٢).

كنوز ألحان أسبوع الآلام الفصحية

انطبع طقس الكنيسة فى أسبوع الآلام بروح كتابية وبالتسبيح وروح الصلاة والتضرع والطلبات، وركزت الكنيسة باستمرار على تأكيد ألوهية المسيح المصلوب والاعتراف له «بالقوة والمجد والبركة والعزة». فلحن «**أومونوجينيس**» يؤكد بإلحاح متكرر أن هذا المصلوب الالهى هو نفسه اللوغوس وحيد الآب والأزلى وغير المائت والواحد من الثالوث، التى هى جميعاً ألقاب إلهية. ولا تمل قطع الساعة السادسة والتاسعة من تكرار عبارة «**المسيح إلهنا**» فى حضرة أيقونة الصلبوت التى يُقدم لها البخور من جميع الكهنة الحاضرين، إعترافاً بألوهية المصلوب الالهى الغالب والذى يغلب. واخيراً يأتى لحن «**بك إثرونوش**» فى أخر يوم الجمعة الكبيرة ليخاطب المسيح المائت معترفاً بلاهوته قائلاً له «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور». **ومن أشهر طرائق ألحان الكنيسة فى أسبوع البصخة:**

١) **اللحن الأدريبى**: الذى قام رهبان أديرة الأنبا شنوده رئيس المتوحدين بجبل أدريبة غرب مدينة سوهاج بوضعه، وهو من الألحان الحزاينى الهامة التى تقال كثيراً فى أسبوع الآلام، والمطلع على كتب قراءات طقس البصخة يجد بصمات واضحة لرهبان أديرة الأنبا شنوده فى وضع ترتيب تلك القراءات والصلوات، فقد أضافوا كثيراً من عظات أبيهم الروحى الأنبا شنوده إلى تلك الصلوات مما يرجح أنهم أصحاب الفضل فى وضعها وترتيبها. حتى أن أغلب ألحان اسبوع الآلام تميل بصفة عامة إلى اللحن الحزاينى وهو الأدريبى. أما مدينة **أدريبة** فهى بحاجر سوهاج الغربى وتشتهر بدير الأنبا شنوده والأنبا بشاى (الدير الأبيض والدير الأحمر).

٢) **اللحن الشامى**: المتتبع لنغمات هذا اللحن يستنتج أن كثيراً منها مقتبس من ألحان أخرى: «أووه ناى نيم» وهو الترحيم الخاص بالقداس الكيرلسى، ولحن «بيك لاؤوس غار»، واخيراً يكمل باللحن الأدريبى. ويرجح أن هذا اللحن منسوب إلى قرية مصرية تسمى «**الشامية**» بمركز ساحل سليم بمحافظة أسيوط.

٣) اللحن الحزايني: المعروف باسم لحن أيوب، وهو لحن على نفس طريقة «غولغوثا» (الجلجثة بالعبرانية والأكرانيون باليونانية) والذى يقال فى يوم الجمعة العظيمة وتسميته بلحن أيوب لأن المرتلين كانوا يقرأوا سفر أيوب بالكامل بهذا اللحن الحزايني.

وتأتى ألحان الآلام لتعبر بحق عن اختبار وشركة آلام الرب وموته الخلاصيين، فمتى قيلت بفهم وبروح وبذهن، تكون قادرة أن تؤثر فى أعتى الخطاة والبعيدين، لأنها تمثل مشاعر روحانية رحلة الآلام المقدسة التى ألفها الروح القدس والتى نقدمها مع الكنيسة لنذبح لله ذبيحة التسبيح على المذبح السماوى مع الخوارس العلوية... بل بالحرى نقدم نفوسنا ذبائح من أجل خاطر ملكنا المصلوب لنتمثل بآلامه ولنكرم دمه بواسطة دمائنا، ولنصعد على الصليب فإن المسامير حلوة ولو أنها مؤلمة للغاية لأن الألم مع المسيح ومن أجله أفضل من الحياة الهينة مع الآخرين.

وسنشير هنا إلى بعض الألحان المعروفة من خضم كنوز ألحان هذا الاسبوع:

١) لحن أمونوجينيس: أى الابن الوحيد وهو لحن يونانى الكلمات يتلى قبل التقديسات الثلاثة فى صلاة الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة وترجمته العربية الدقيقة «أيها الوحيد الجنس وكلمة الله غير المائت، لقد رضيت من أجل خلاصنا أن تتجسد من والدة الإله القديسة مريم الدائمة البتولية، وتأنست بغير استحالة، وصلبت أيها المسيح الإله، وبالموت دست الموت، أنت أحد الثالوث القدوس، الممجد مع الآب والروح القدس خلصنا».

وتعتبر كلمات هذا اللحن بمثابة تلخيص واف لإيماننا فى شخص المسيح كلمة الله والابن الوحيد المبذول عن حياة العالم، واعتراف دقيق التعبيرات قليل الكلمات، يشرح ويعلن كل أعمال الرب الخلاصية لأجلنا. وتأتى أهميته فى روعة اللحن القبطى المصاحب له، مع كونه يتلى وقتِ صلب المسيح الخلاصى، أى فى وقت الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة. فهو اعتراف الكنيسة العلنى وشهادتها لقبول خلاص المسيح الذى أتمه من أجلنا، ووعى المؤمنين أن هذا الخلاص أثمر فى النهاية فى القضاء على الموت بموته على الصليب «بالموت دست الموت».

وأهم ما فى هذا اللحن هو تلقيب المسيح بأنه «هو أحد الثالوث القدوس» مؤكداً على أن الابن هو أحد الثالوث الأقدس، فهو شريك تماماً فى مجد الآب والروح القدس، وهو الاقنوم الثانى فى الثالوث والذى لكل أعماله، بما فيها آلامه وموته، فعاليتها الخلاصية لجنس البشر.

ويتفق هذا التعبير تماماً مع تعليم القديس كيرلس الكبير عمود الدين والقديس ساويرس الأنطاكى (آباء الكنيسة الأرثوذكسية اللاخلقيدونية) وقد بذل الامبراطور جوستينيان جهده لإدخال هذا اللحن فى الكنيسة البيزنطية فى عصره فصار يتلى ضمن صلوات القداس الإلهى فى هذه الكنيسة حتى الآن.

وهذا اللحن الرائع يحوى فى داخله قوة إيمانية كرازية مسكونية غير عادية، كونه إعترافاً وحدوياً للإيمان الأرثوذكسى، يلتقى عنده كل المؤمنين الأرثوذكسيين فى كل المسكونة بأسرها، يسبحون فيه المسيح الإله المصلوب عن جنس البشر، يسبحونه بصوت واحد وإيمان واحد وتعبيرات واحدة ايضاً.

٢) لحن أجيوس: وهو اللحن الحزايني الذى يُقال فى ساعة الصلب فى يوم الجمعة العظيمة، ويقول القديس الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين: {عند تكفين المسيح المصلوب تعجب نيقوديموس ويوسف الرامى كيف قدر الموت عليه، فللوقت سبحاه بالتسبيح المشهور قائلين: «قدوس الله. قدوس القوى. قدوس الحى الذى لا يموت» ثم سجدا وقالا «الذى صُلب عنا ارحمنا»} . وأول من أدخل هذه التسبحة فى العبادة المسيحية هو القديس أغناطيوس الأنطاكى أحد الآباء الرسوليين.

٣) لحن مزمور أف تشي نون: ويُقال فى الساعة الثالثة من ليلة الخميس، وكذا فى باكر بعد الابركسيس، ويقال هذ المزمور بلحنه المعروف بالشامى وهو عن يهوذا الخائن ونصه هكذا «كلامه ألين من الدهن وهو نصال» (مز٥٤:٢١) ففى هذا اللحن نتذكر تسليم الرب وخيانة التلميذ صاحب القبلة الغاشة.

٤) لحن فاي إيتاف إنف: والذى فيه تنطلق أصوات المرتلين مسبحة المسيح المصلوب الذي قدم جسده محرقة ورائحة بخور زكية من أجل خلاصنا، وفى هذا اللحن الذى يعد من أروع ألحان الكنيسة، نناجى الذى أصعد ذاته بإرادته وسلطانه

ومشيئته وحده على عود الصليب ليقدم نفسه ذبيحة مقبولة من أجل خلاص جنسنا، فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة. ويأتى هذا اللحن مع تقديم البخور والعبادة بخشوع وفخر للمسيح المعبود، والذى صنع بذبيحة نفسه عمل الخلاص العجيب.

٥) لحن بيك إثرونوس: وهو اللحن الذى تختم به الكنيسة قراءاتها فى المزامير يوم الجمعة العظيمة، وكلماته كالآتى: «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب الإستقامة هو قضيب ملكك» (مز ٤٤ :٩، ١١) وهو مزمور أناجيل الساعة الثانية عشرة من الجمعة العظيمة التى تسرد حادثة «دفن المسيح»، وكذلك يقال فى الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء. وقد عبر هذا التعليق العميق فى إيجازه عن موضوع وقيمة هذا اللحن: فبآية واحدة ترد الكنيسة على الصالبين. فهى تعلن شهادتها فى هذا الصلب الذى ظنوه موتاً. فهى ترى أن المسيح وهو الإله الجالس على عرشه يدين لا إلى «دهر» فقط بل إلى «دهر الدهور» كما تقول الكلمة الأخيرة من اللحن «شا إينيه». هذه الكلمة «شا إينيه = إلى دهر الدهور» تستغرق وحدها نصف وقت اللحن كله، تعبيراً عن اللانهائية والإمتداد لقضاء حكم المسيح المصلوب إلى نهاية كل الدهور.

إن نغمة هذا اللحن هى من نغمات كنيسة أورشليم الأولى، وهى من الأنغام التى احتفظت بها الكنيسة القبطية كما هى مع بعض الإضافة لنغمة الليتورچيا القبطية من اللحن الشامى. وفى أغلب الظن إكتمل هذا اللحن منذ بداية القرن الأول الميلادى أيام القديس يعقوب الرسول.

والكنيسة بهذا اللحن تختم ألحانها فى هذا اليوم العظيم لتعبر عن مشاعرها وأحاسيسها، بل وإيمانها الراسخ تجاه عريسها المصلوب، الذى قال داود فيه أن الابن إله وأنه دائم إلى الأبد، أنه ملك إلى دهر الدهور وأن ملكه لا نهاية له.

ذكرى آلامه المقدسة

فى هذه الأيام التى تتجدد فيها أمام عيوننا آلام الرب يسوع فى أسبوع البصخة من كل عام، لابد أن نفكر فيمن جعل نفسه قريباً جداً منا فى هذه الذبيحة العظيمة، والذى بها دعانا وفدانا على عود الصليب. فلا ندع أفكارنا تنشغل خلال هذه الأيام إلا بذكر آلامه المقدسة.

قصة الحب العجيب

ما أعجب يا رب أن تقيم لعازر من القبر من بطن الهاوية فى أول أيام أسبوع آلامك وكأنك تقدم صورة للنهاية قبل البداية وكأنك تمهد بسبت لعازر للسبت الكبير، سبت النور والفرح الذى ستقيم فيه أسرى الرجاء. ما أعجب أن تقيم الميت الذى أنتن فى القبر أربعة أيام بينما أنت سائر فى طريق الموت. أنك لست فقط قادر أن تقيم من الأموات بل أن تقوم ايضاً.

ما أعجب أن تبكى عند قبر حبيبك لعازر وأنت الذى تمسح كل الدموع. وما أعجب أن تقف أمام القبر وأنت سيد الحياة ورب القيامة. وما أعجب أن تصدر أمرك الإلهى إلى لعازر باسمه فيقوم ويداه ورجلاه مربوطة. ما أعجب أمرك: «حلوه ودعوه يمضى». وما أعجب الجموع التى آمنت بك عندما رأت مجدك وأنت تعطى الحياة للميت الذى شبع من الموت. وما أعجب الذين جمعوا لك مجمعاً منذ ذلك اليوم ليتشاوروا على قتلك (يو ١١ :٤٧).

إقامة لعازر

ما أعجب أنك أنت الكلمة التى سمعها لعازر الميت فقام من الأموات، إذ أنك تحيى من تشاء، وصوتك حينما

يسمعه الذين عملوا الصالحات يخرجون به إلى قيامة الحياة، وكل من آمن بك ولو مات فسيحيا. ما أعجب أن تعطى الحياة الآن للعازر لأنك القيامة بذاتها وأنت حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا.

ما أعجب أن تبدأ يا رب أحداث أسبوع آلامك بيوم الانتصار فى دخولك أورشليم كملك وأنت آت لتكمل الخلاص الذى من أجله جئت إلى الأرض. وما أعجب دخولك أورشليم حيث المدينة المقدسة لتقدم ذبيحة عن الشعب، وما أعجب أن يهتف لك الشعب «مبارك الآتى باسم الرب» لأنك الذى سترحم كل خلقة يديك وستخلص جميع البشر الذين ضلوا وستسكب خمراً وزيتاً على الذين وقعوا بين اللصوص. ما أعجب أن تخلصنا بنفسك فلا سفير ولا ملاك بل بنفسك .

ما أعجب أن تدخل مدينة أورشليم فى يوم أحد الشعانين لتملك لا على المدينة بل على خشبة (مز٩٦: ١٠) لأنك من فوق هذه الخشبة سوف تملك على قلوب البشر وتأسرها جميعاً. وما أعجب عرشك المفضل الأبدى هذا الذى من أجله ولدت ومن أجله احتملت الآلام كمذنب، فأية رحمة أعظم من هذه، تلك التى أحدرتك أنت خالق السموات من السماء وألبستك لباساً أرضياً، وجعلتك وأنت مساو للآب فى أزليته وخلوده، مساوياً لنا فى الموت، وبينما أنت غذاؤنا تجوع وتعطش وتصير ضعيفاً لترونا وتشبعنا وتشفينا وتحيينا.

دخول المسيح أورشليم

ما أعجب أن تأتى إلى أورشليم بعد أن أمضيت مساء السبت فى بيت عنيا وأقمت ميتاً كان قد أنتن فى القبر أربعة أيام، لذا استقبلتك الجموع كمسيا آت ليملك على كرسى داود وكمخلص آت من الأعالى. لقد انتشر نبأ إقامتك للعازر بين الجموع كلهيب يشعل القلوب

التى طال إنتظارها لمخلص، وعبثاً حاول الفريسيون أن ينتهروا الجموع وباطلاً سعوا لإسكاتهم لأنه «إن سكت هؤلاء فالحجارة تنطق».

ما أعجب أن تعلن مملكتك من فوق منبر غاية فى العجب!! فبينما يعلن الملوك سلطانهم من فوق المركبات والفرسان، أعلنت أنت ملكك بالحب والوداعة وتدبير الخلاص، لذا طلب منك الشعب لا خلاصاً فقط، بل خلاصاً مضاعفاً. وما أعجب الهتاف والصيغة الرجائية التى توسلوا بها إليك مترجين بلجاجة أن تخلصهم.

ما أعجب قلبك الإلهى المملوء رحمة وحلاوة، فبينما أنت فى موكب مجد ملوكيتك، إلا أنك نظرت إلى أورشليم وبكيت عليها، لأنك جئت لتفتقد وتصنع فداء شعبك، وبأحشاء رحمتك أتيت لتفتقدنا من المشرق من العلاء (لو١ :٦٨). فما أعجب إفتقادك الإلهى للإنسان إذ سمعت الأنين وتذكرت الميثاق ونظرت المذلة وجئت لتخلصنا.

ما أعجب قولك على إسرائيل الذى لم يعرف زمان إفتقاده، بينما افتقدته أنت يا وحيد الجنس، فإذ بالكهنة يتأمرون على قتلك، فيالفرحة الذين يقبلون إفتقادك ويأخذونك كمخلص آت باسم الرب، تفتح لهم كنوز خيراتك السمائية وتفيض عليهم من بركاتك بما لا تسعه نفوسهم، ويالشقاوة من يعبر عليه هذا الافتقاد ولا يعلم ما هو لسلامه. إنك ملك متواضع وباك، ولكنك قوى بسوط، وارتجت لك المدينة ومن ثم ملكت على الصليب.

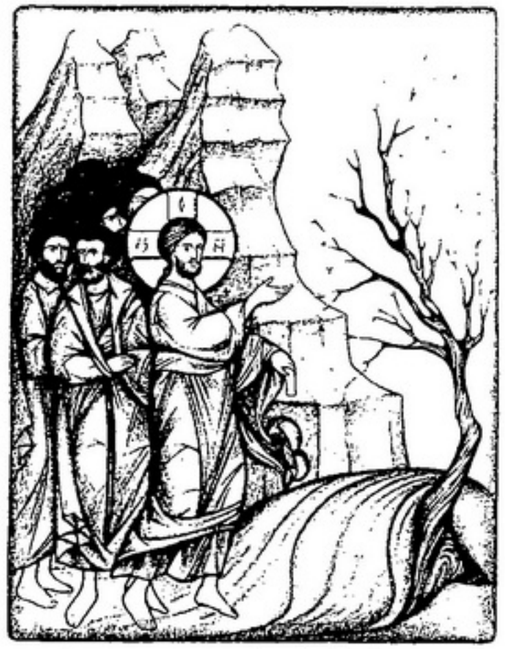

لعنة شجرة التين

ما أعجب أن تجوع أمام شجرة التين (مت ٢١ :١٨) فلولا أنك أخليت ذاتك وصرت مثلنا لما جعت. وما أعجب تلك الشجرة التى تذكرنا بخطية

آدم الذى حاول أن يغطى عريه بورق التين. وما أعجب أن تلعن الشجرة فتيبس فى الحال ليكون لعنك لها لعناً للكتبة وللفريسيين الذين بلا ثمر، فبينما يتعين عليهم أن يقودوا الناس للخير، قادوا يهوذا للخيانة والشهود للزور والحراس إلى الكذب والرشوة، بل وقادوا الشعب كله للتآمر والضلال جاعلين بيت أبيك مغارة لصوص.

ما أعجب رفضك لكل شجرة مورقة بلا ثمر، وما أعجب رفضك للمبررات وللأعذار والرياء الذى هو من ورق التين، لأنك تريد ثمراً لا ورقاً، الأمر الذى جعلك تلعن الشكليات كما لعنت التينة «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» فذبل الهيكل كما ذبلت التينة.

ما أعجب جوعك إلى الثمر قبل الصليب. إنك تجوع إلى خلاص كل أحد، تجوع ليتمتع العالم كله بغفرانك، فقد أطعمتنا جسدك وسقيتنا دمك ورويتنا بعرقك وحوطت علينا بسياجك وربطتنا بمساميرك لتحمى شجرتنا فنعطيك تيناً ناضجاً.

ما أعجب قدميك التى قبل أن تتسمرا على عود الصليب تقدمت المرأة الخاطئة بقارورة الطيب الكثير الثمن وسكبتها عليهما يا يسوع ومزجتها بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها، لأنها أحبت كثيراً وغفرت أنت لها خطاياها الكثيرة. إن هذا الطيب الذى دهنت به رجليك كان لتكفينك. ما أعجب أن تُقدر هذا الطيب يا رب قدر المحبة التى وجدتها تفوق الأرض وما عليها، بينما اعتبرها يهوذا الخائن إتلاف، وكخبير فى الأسعار ثمنها بثلاثمائة دينار، لكنك

ساكبة الطيب

امتدحتها ووزنتها بميزان الحب الصادق ومنحت المكافأة والمجازاة لتلك المرأة، فقد كانت قيمة حياتك عند يهوذا تساوى ٣٠ فضة، أما عند هذه المرأة فقد كانت تساوى كل ما عندها حتى إلى ٣٠٠ دينار (مر١٤ :٥).

ما أعجب أن يليق هذا الطيب بموتك حتى أنك قلت «اتركوها أنها ليوم تكفينى قد حفظته» (يو١٢ :٧). لقد أردت يا رب أن تعلمنا أن المحبة لك لابد أن تكون نشطة وحارة وعملية لكن سرية وصامتة. ما أعجبك يا ملك الآلام البشرية وأنت تقبل هذا الطيب وتمتدحه بينما يهوذا الخائن كان يرى أن الصندوق أولى بثمنه إذ كان يلتقط كل ما يوضع فيه. وما أعجب أن تمنح المرأة ساكبة الطيب التكريم والتذكار الدائم على مدى كل أجيال الكنيسة حيثما يقرأ إنجيل المرأة صاحبة الطيب. لقد جعلت هذه المرأة أسبوع آلامك أسبوع الطيب الناردين إذ سبقت ودهنت بالطيب جسدك للتكفين (مر١٤ :٦).

ما أعجب أن يكون هذا الطيب نبوة عملية عن الموت والدفن الذى ستجوزه بإرادتك. وما أعجب أن الكنيسة قد أخذت الطيب والحنوط، الذى وجد فى لفائف أكفانك بعد أن تركتها كما هى وقمت، وصنعت بها زيت الميرون، لذا صار هذا التذكار عجيباً ليس للمرأة فى حد ذاتها، وإنما التذكار هو لعملها الحسن الذى به كانت أول من اشتركت فى تكفين جسدك كأول عمل مهد لصليبك ولقبرك. ويالله العجب فقد تخلد اسمها وعملها فى الانجيل وفى السماء وفى الكنيسة لأنها فعلت بك فعلاً حسناً.

ما أعجب طيبك الذى هو خلاصة روائح وزهور كثيرة والذى انتشر كرائحة زكية مسكوبة على قدميك ملئت الكنيسة كلها وارتفعت إلى السماء عينها، لأن اسمك أيها المصلوب دهن مهراق فاحت رائحة ناردينه حين أُهرق دمك وأنت مجتاز المعصرة وحدك لتقدم حياتك مبذولة كقارورة عطرت السماء والأرض.

العشاء الأخير

ما أعجب أن تسقينا دمك وتغذينا

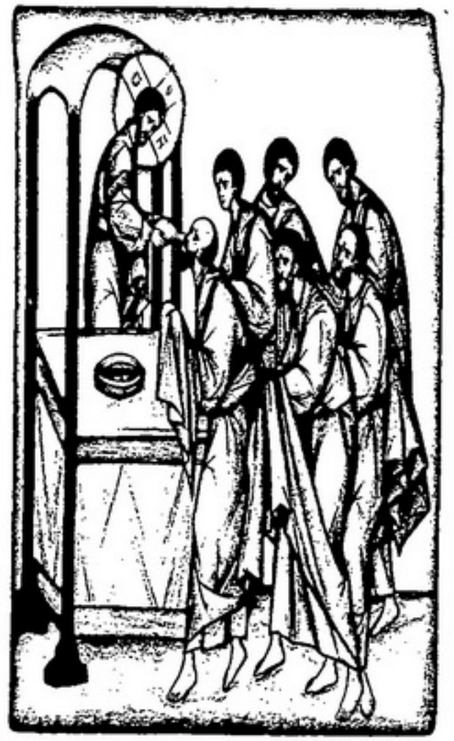

تأسيس سر الإفخارستيا

جسدك الخاص لتجعل السماء فى متناول أيدينا، عندما تثبت فينا ثبوتاً متبادلاً ونصير ليس فقط ملازمين لك بل متحدين بك، وهنا نكون مرهبين للشياطين ونخبر بأعمالك العظيمة ونسمع تسابيحك ونشبع من حبك على قدر ما نشتهى، ونبشر بموتك أنت الابن الوحيد ونعترف بقيامتك عندما نقدم الذبيحة غير الدموية فى الكنائس وننال الأولوجيات لنتقدس. ويالله العجب لراع عال رعتيه بأعضائه الخاصة. إنها قصة الحب العجيب.

ما أعجب تذكار فصحك الإلهى يا رب فهو ليس مجرد أكل خبز وشرب خمر بل تذكار ذبح حقيقى: كسر جسدك وسفك دمك. والمأكول والمشروب هو جسدك أيها الحمل الإلهى الذى قدمته فصحاً للعالم ودمك المسفوك لخلاص الانسان، فالتذكار حقيقى من جسد ودم حقيقى، والوليمة هى وليمة الملكوت لا بالمثال ولكن بالحقيقة.

ما أعجب إنكار بطرس بينما أنت أكدت له مسبقاً أنه سينكرك ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك، وبعد أن أنكرك اقتربت إليه بمراحمك فى صمت وسرية لتلمس قلبه وذكرته بالماضى. ما أعجب أن تلتفت وتنظر إليه لتفتقده بنعمتك الداخلية، إذ أنه كان فى عوز لأن تذكره، لأن نظرتك إليه كانت عوض صوتك حتى يمتلئ مخافة ثم يبكى بكاءً مراً. فما أحوجنا أن نرتمى فى حضنك لأنك عارف بضعفنا، فلا نثق بذواتنا بل فى نعمتك القادرة أن تقيمنا من الضعف، فليتنا لا نفتخر بأنفسنا بل بالحرى نفتخر بعطاياك متعلمين من بطرس الذى أنكر الواحد الذى أحبه ثم أحب الواحد الذى أنكره.

ما أعجب أن تحذر بطرس من نتيجة تجربة الشيطان له، ثم بعد أن أنكرك ثلاث

سر الإفخارستيا

مرات أعطيته كلمات التعزية ليعود ويقوم، ليس هذا فقط بل ويسند إخوته ايضاً (لو٢٢ :٣١).

ما أعجب أن تكون قد جئت فصحاً عن العالم، بينما رؤساء الكهنة والكتبة كانوا يطلبون أن يمسكوك بمكر ويقتلونك فى عيد الفصح، وهم بهذا ذبحوا الفصح الحقيقى فى العيد ولم يتعرفوا عليك ولا فهموا الذبائح الرمزية التى كانت بين أيديهم بكل أسرارها.

ما أعجب حملك للصليب إذ أنه الموازى فى أعمال النبوة لحمل اسحق حطب المحرقة، فأنت الخروف حمل الله الذى للمحرقة (تك٢٢) وأنت الذى قال عنك ابراهيم: «الله يرى له الخروف للمحرقة». فبعد ٤٢ قرناً من ابراهيم جاء ملء الزمان وتجسدت مولوداً من إمرأة تحت الناموس لتفدينا وننال بذبيحتك الكفارية نعمة التبنى، فمن الضغطة والدينونة أُخذت، وقُطعت من أرض الأحياء وضُربت من أجل ذنب شعبك وجعلوا مع الأشرار قبرك ومع غنى عند موتك.

ذبح إسحق

ما أعجب أن اسحق فى استعداده للموت حمل صليب الإنجيل قبل مجئ الإنجيل. وما أعجب أن تكون الحمل الحقيقى الذى قدمك الآب ليس فدية عن اسحق وحده بل عن العالم كله.

ما أعجب أن توثق بين الأشواك بقرون كما عُلقت على الخشبة. وما أعجب أن يكون حمل اسحق لخشب المحرقة إشارة ورمزاً لك، هذا السر الذى سبق فأعلنه الأنبياء، فكما قدم ابراهيم ابنه الوحيد، هكذا ذبيحتك هى ذبيحة الآب الذى قدمك أنت ابنه فدية عنا. إنها ذبيحتك التى إشتمها

الآب رائحة سرور. فذبح اسحق كان إشارة إلى هرق دمك على الصليب عن خلاص العالم، وكما حمل اسحق حطب المحرقة كذلك حملت أنت خشبة الصليب وكما رجع اسحق حياً من الأموات، هكذا ايضاً قمت حياً من الأموات وظهرت لتلاميذك القديسين.

ما اعجب أن يسكب الرب ماء فى مغسل ثم يغسل أرجل تلاميذه وهو الذى سيبذل دمه ويسيل على الأرض ليغسل به أوساخ خطايانا. وما أعجب أن يأتزر الرب بمنشفة ويغسل الأقدام ويمسحها ليس فقط لمن سوف يتألم بالموت من أجلهم، بل وحتى لمن هو مزمع أن يسلمه للموت. وما أشد العجب فى إحتمال الرب للشر الذى أتى عليه، حتى فى مشهد الخيانة ذاتها!! ولم يقل له «أيها الخائن والردئ، أهذا جزاء ما صنعته من رحمة؟» بل إنه بدلاً من أن يغضب عليه قال له ببساطة «يا يهوذا..». مبارك أنت يا رب لأنك علمتنا المثل فى إحتمال الشر وأظهرته لنا فى شخصك.

غسل الأرجل

ما أعجب أن تخلع ثيابك كما يفعل الخادم والعبد ثم تصب ماء لتغسل أرجل تلاميذك وهم جلوس أمامك. ما أعجب أن تجعل غسلك لأرجلهم شرط أن يكون لهم معك نصيب. إنه إخلائك يا رب لذاتك فى أن تكون عبداً بالمشيئة لتعلمنا هذا الفكر، إذ وأنت فى صورة الله لم تحسب خلسة أن تكون معادلاً لله، لكنك أخليت نفسك آخذاً صورة العبد، صائراً فى شبه الناس، ووجدت فى الهيئة كإنسان ووضعت نفسك طائعاً حتى الموت موت الصليب (فى٢ :٥). إنها قصة الحب العجيب.

ما اعجب كأسك المُذاب فيه كل خطايا العالم الذى رأت مشيئة الآب إلا أن تشربه. ما أعجب إنحنائك وإخلائك لذاتك لكى تتجرع الكأس فيتمجد اسمك بالصليب «مجدت وأمجد ايضاً» (يو١٢ :٢٨) وبالحق إن الذى سيتمجد لا يتمجد من أجل نفسه، بل يتمجد لمجد الله. وما أعجب أن تجثو على الأرض العراء فى برد جشيمانى بينما عرقك يتصبب كالدم. وما أعجب أن تطلب من الآب ثلاث مرات لكى يعبر عنك هذه الكأس، فهذه الكأس لم تكن هى الموت فقط بل عار البشرية وخطاياها التى حملتها كلها لتموت بها كلها موت الخطاة.

فى بستان جشيمانى

ما أعجب قبولك للكأس فشربتها حسب مشيئة الآب، لذلك لم تعط إجابة على الذين حاكموك، بينما لم تكن فيك خطية، ولم يوجد فى فمك غش، لكن فى كل هذا أردت أن تتمم العمل الذى أعطاه لك أبوك... إنها كأس لا يمكن وصفها، كأس الموت وكأس نجاسات العالم، وكأس إثم جميعنا.

وما أعجب قطرات العرق التى سالت منك يا رب كقطرات الدم، حتى تجفف وتفرغ ينبوع الخوف عند كل البشرية، وما أعجب الملاك الذى وقف إلى جانبك يقويك وأنت فى بستان جشيمانى لأن هذا يتصل بخلاصنا ويعلمننا أننا فى أوقات التجارب لابد أن ندخل جشيمانى ونصلى وعندئذ سيأتى الملاك ليسندنا.

وما أعجب صلاتك فى بستان جشيمانى لأنك أنت الذى تقبل الصلاة ويأتى إليك كل بشر، وما أعجب بكائك وأنت الذى تمسح كل الدموع، وما أعجب أن تباع بثمن بخس بثلاثين من الفضة، إلا أنك افتديت العالم كله وبأعظم ثمن: بدم نفسك. ما أعجب تعبك وإرهاقك بينما أنت وحدك الشافى لكل مرض وضعف. ما

أعجب قولك «أنا عطشان» بينما أنت ماء الحياة، وما أعجب أن تُرفع فوق خشبة الصليب وأن تسمر عليها لتبرأ البشرية كلها بشجرة الحياة. وما أعجب أن تموت وأنت المحيى والماحق الموت بموتك. وما أعجب أن تنزل إلى الجحيم، إلا أنك ستقوم وترجع معك النفوس. إنها قصة الحب العجيب.

ما أعجب أن تجتاز المعصرة الحقة وحدك وأن تدوس فيها ولم يكن معك أحد، بينما هى ليست معصرة الآلام بقدر ما هى معصرة ثقل الخطية التى لا تقبلها ولا تطيقها، لكنك من أجل هذا جئت، ونيابة عنا خضعت فى طاعة للآب لتحمل موت الخطية، حملتها نيابة عنا لأننا رفضنا إرادة أبيك فخضعت أنت للصليب بسرور من أجل طاعة أبيك ولأنك أردت ذلك وهو ما أعلنته بنفسك بقولك «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» (يو٣ :١٦) وكأن البذل هنا هو من إرادة الآب المحب الذى لم يشفق على ابنه الوحيد. فما أعجب حبك الذى جعلك تسلم نفسك لأجلنا (غلا٢ :١٠) باذلاً نفسك المملوءة حباً، مقدماً لنا جسدك ودمك وعرقك ودموعك وصلواتك وسهرك...

ما أعجب أن تجثو على ركبتيك بينما أنت رئيس الكهنة الأعظم، لكنك كنت تقدم ذبيحة العالم الفريدة، تقدم حياتك المبذولة طاعة لأبيك وحباً للبشرية. وما أعجب أن تدخل المعصرة بإرادتك لتجتازها من أجلنا لحظات قبولك الكأس من يدى الآب، لتؤكد لنا ناسوتك الذى شاركت به ناسوتنا.

ما أعجب حملك للآلام لكى تمنحنا الفرح. إنك تألمت أيها الرب لا بألامك وإنما بألامى. وما أعجب أن تفيض منك قطرات العرق بطريقة عجيبة كقطرات الدم وكأنك تستنزف دمك مفرغاً ينبوع الخوف اللائق بطبيعتنا.

ما أعجب أنك كنت تُقتاد للموت البشع وأنت مُحتقر من العصاة بينما كان تلاميذك يتشاحنون فيما بينهم من يكون الأكبر. وما أعجب أن تكلم أبيك فى البستان بينما أنت لم تنفصل عنه، حاملاً كأس الألم وحانياً رأسك وكتفيك لترفع عنا ثقل خطايانا وتردنا لا إلى جنة عدن بل إلى الفردوس السماوى.

ما أعجب أن يسلمك يهوذا للموت بينما أنت أعظم من الموت، إذ دخله الشيطان ولأجل فضة مدنسة خسر السماء وفقد إكليل الخلود وكرامة الرسولية

المحبوبة وحسبانه ضمن عداد الإثنى عشر.

ما أعجب قولك عن يهوذا «هوذا الذى يسلمنى قد اقترب» (مت ٢٦ :٤٦) وما أعجب نعتك له «يا صاحب لماذا جئت». وما أعجب أنك تركته ليخونك لمدة يومين بينما كنت تحاول أن تنبهه لكنه لم ينتبه، ثم أخذ اللقمة وخرج للوقت فى الليل ليخونك فى الظلام، وبخروجه انفصل إلى الأبد عنك وخنق نفسه. إنه مصير كل من يبيعك يا رب بأى عرض من عروض الدنيا.

ما أعجب أن ثمنك، الذى صار ثمن الدم، جعل يهوذا يرده، فلم يكن ممكناً أن يتركه معه لأنها فضة مرفوضة وزغل مغشوش، إذ كما أن من يترك شيئاً من أجلك أيها السيد يأخذ عنه مئة ضعف فى هذا العالم مع حياة الدهر الآتى، هكذا من يبيعك أيها السيد يخسر مئة ضعف ويفقد حياته إلى الأبد، فرغم أن يهوذا ظن أنه اقتنى ربحاً بالثلاثين من الفضة إلا أنه اقتنى بؤساً وهماً وغماً، لذا ذهب ليرد الفضة فى ندامة بلا توبة وفى مرارة بلا رجاء، حتى أنه لم يطق حياته فمضى وشنق نفسه.

قبلة يهوذا

ما أعجب أن يكون حقل الدم الذى اُشترى بالثلاثين من الفضة هو مدفن للغرباء ليصير هو العالم الذى افتديته يا رب بدمك لكى تدفن فيه الأمم فيتنعمون بخلاصك، إذ أن ثمن تسليمك استخدموه فى شراء مدفن للغرباء، لنكون نحن المنتفعين به، فقد اشترى الحقل لأجلنا بثمن دمك، فما الحقل إلا هذا العالم الحاضر وما ثمن الدم إلا ثمن آلامك يا رب يا من اشتريت العالم بثمن دمك لتخلصه. لقد جاءت آلامك لكى تحفظ الذين دفنوا معك وماتوا معك فى المعمودية لنوال البركات الأبدية... فعوض أن يعيشوا غرباء تحت الناموس صاروا قريبين بدمك (أف ٢ :١١).

حسبوك عبداً يا رب فدفعوا الثمن ثلاثين من الفضة ثمن العبد (خر٢١ :٣٢) تلك الفضة الغاشة التى دفعت ثمناً لخيانتك أيها السيد، والتى دفعت لشراء بيت الفخارى الترابى والأرضى حيث حقل الدم الذى استخدم لدفن الغرباء، ليكون ثمنك هو موضع دفننا إذ أننا دفنا معك.

ما أعجب يا رب أن تعلن عن الخيانة لتعطى مسلمك فرصة التوبة والرجوع إن أراد. وما أعجب أنك لم تذكر اسم الخائن حتى لا تجرح مشاعره وأحاسيسه لعله يرجع عن رأيه وحتى لا تجعله فى عار أشد. وما أعجب أنك لم تصمت تماماً عن الخيانة لئلا يظن اليهود أن أمره غير مكشوف فيسرع بالأكثر لعمل الخيانة بجسارة. وما أعجب أنك يا رب تركته لينضم إلى المائدة حاسباً وكأنه مستحق للطف الإلهى حتى النهاية وبهذا صارت دينونته أعظم.

وما أعجب يهوذا الإسخريوطى الذى سلمك أنت الأسد الخارج من سبط يهوذا. ما أعجبه وهو يتقدم بقبلة غاشة كعلامة غش مميت من شفتيه التى هى أكثر مرارة من الأسلحة والعصى. وما أعجب هذا التلميذ البشع فى خطئه بينما كنت يا رب تحذره بكل وسيلة، لكنه لم يكف عن خيانته لهذا صارت داره خراب وأسقفيته أخذها اخر، فأى شئ يمكن يا رب أن تقدمه أكثر فائدة للعالم كله من بركات آلامك المخلصة المحيية، بينما هذا الخائن سلمك للآلام ولم ينتفع شيئاً من خيانته، لذلك ويل له لأن به سلم ابن الإنسان وكان خيراً له لو لم يولد، وهو جنى حسب ما أراد هو واعتقد.

وما أعجب أن يغمس يده معك فى الصحفة بينما هو قد تسلم فعلاً أجرة تآمره بذات اليد التى تآمرت عليك أيها السيد. وما أعجب طول آناتك على الخائن وضمك له إلى مائدة محبتك المترفقة اللانهائية مع أنه كان قد خانك بعد أن وجد فيه الشيطان موضعاً له، وبعد أن كانت جريمة تسليمك قد صارت منه، وصار هو وسيلة لتسليمك إلى الصليب.

وما أعجب أن تتحدث عن خائنك وسط الجماعة دون أن تشير إليه لأنك مهتم بخلاص نفسه دون أن تجرح أحاسيسه لأنه ماض كما هو مكتوب عنه بحسب التدبير الإلهى.

ما أعجب أن يسلمك أحد الإثنى عشر بقبلة، فجعل علامة المحبة والشركة علامة للخيانة والقتل، بينما مسلمك هذا لقبته بالصاحب «يا صاحب لماذا جئت؟» (مت٢٦ :٤٩) فصدق فيه قول المزمور «ألين من الزيت كلماته وهى سيوف مسلولة» (مز ٥٥ :٢١). وما أعجب أن يلقوا عليك الأيادى ليمسكوك ومعهم السيوف والعصى بينما أنت كنت معهم كل يوم فى الهيكل تعلم وتشبع وتبرأ وتقيم وتشفى المحتاجين إلى الشفاء.

ما أعجب أن الذى يأكل خبزك يرفع عليك عقبه بعد أن دخله الشيطان وزرع فى قلبه فكر الخيانة ليبيعك بالفضة الغاشة، بينما أنت الفضة الحقة كلمة الله المتجسد وكلمتك هى الأصلية المصفاة سبع مرات، إلا أن يهوذا تعاهد وفرح طامعاً فى فضة العالم مخالفاً للناموس، وبشره الشخصى وبطمعه صار ما هو عليه.

ما أعجب إشارتك عن يهوذا بقولك «أنتم طاهرون ولكن ليس كلكم» مشيراً إلى فعلته الغاشة لئلا يعتقد التلاميذ أنك لم تكن على دراية بأعمال خيانته. وما أعجب أن تغمس له اللقمة وتعطيها له، بل وتقول له «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة» (يو١٣ :٢٧). فذهب الخائن سائراً فى غيه وأكمل خيانته التى نوى عليها.

ما أعجب احتمالك يهوذا ثلاث سنوات ونصف، فهذا إعلان بوداعتك وحلمك ونسيانك للخطايا وصفحك للإساءة. وما أعجب سر تعليمك بل سر علمك الذى لا يوصف، والذى قدمته مثالاً لنا قياسه كقياس السماء فى صفائها وكطبيعة النور فى وضوحها وكطبيعة البهاء فى إشراقها وكطبيعة المحبة فى فيضانها.

ما أعجب أن تُحسب كلص «كإنه على لص خرجتم» (مر١٤ :٤٨) بينما أنت الذى ناديت للمأسورين بالاطلاق (لو٤ :١٨) واخيراً لم تتساو باللص بل حسب باراباس اللص أفضل منك فأطلقوه عندما أرادوا صلب البار وإطلاق مثير الفتنة،

فحتى فى محاكمتك أنقذت بموتك باراباس المجرم الشهير. وما أعجب عُريك وجلدك على ظهرك بالسياط موافقاً أن تكون لكل إنسان ظهراً مضروباً لينال بواسطتك البراءة ولكى لا تقع على منْ يؤمن بك ضربة واحدة!!! ولكى نقول جميعاً «وبجلدته شفينا» (أش٥٣ :٥، ١بط٢ :٢٤).

ما أعجب أن تُظلم فتُذلل ولا تفتح فمك. وما أعجب أن تُساق كشاه إلى الذبح وكخروف داجن صامت أمام الذى يجزه بينما أنت حمل الله الذى يرفع خطية العالم كله، حمل بلا عيب قائم وكأنه مذبوح، وبسفك دمك الكريم حصلت المغفرة.

ما أعجب أنك وأنت بهاء مجد الله ورسم جوهره تتشبه بنا وتأخذ صورة العبد. ما أعجب أن تُباع بثلاثين من الفضة بينما أنت لا تثمنك تلال الذهب وجبال الماس. وما أعجب أن ترتضى بظلم هيرودس وبحكم بيلاطس بينما أنت ديان الأرض كلها وقاضى المسكونة طراً. ما أعجب أنك لم تنزل من على الصليب حين تحداك الكهنة والفريسيون بينما أنت قادر على أن تزلزل أساسات الأرض كلها. ما أعجب أن تُصلب بيد الأثمة الظالمين الأشرار بينما أنت إله المحبة والبر، ومما يزيد العجب عجباً أنك جعلت كل من يؤمن أنك قادر أن تغفر للفاجر فجره يحسب له إيمانه براً.

لقد باعوك أيها الرب وأسلموك للخطاة، حتى تمنحنا نحن العبيد الحرية. لقد خضعت لمحاكمة جائرة، أنت يا من تحكم كل الأرض، حتى نخلص نحن من الحكم الأبدى. تعريت حتى تكسونا برداء الخلاص. وضعوا على رأسك إكليل شوك حتى ننال إكليل الحياة. وضعت فى القبر حتى تقيمنا من موت القبر. هذا فعلته من أجلنا نحن عبيدك غير المستحقين... أيها الرب ما أعجب اسمك...

ما أعجب أنك لما كنت تُشتم لم تشتم عوضاً، وأنك عندما تألمت لم تكن تهدد بل سلمت لمن يقضى بعدل (١بط٢ :٢٣) لذا فى تواضعك انتزعت قضائك وبسبب صمتك وعدم دفاعك بذلت نفسك فدية عن كثيرين وشفعت فى المذنبين لأنك عجيب ومتعجب منك بالمجد.

ما أعجب يا رب قول النبى الذى رأك مجروحاً فسألك «ما هذه الجروح فى

يدك» (زك١٣ :٦) فأجبت بمرارة «هى التى جُرحت بها فى بيت أحبائى» (زك١٣ :٦). وما أعجب أن يسلمك الخائن أحد الاثنى عشر، فتزداد جروحك مرارة من أجل الذين خانوك وشهروا بك إلا أنك أشهرت السلاطين جهاراً ظافراً بهم على الصليب، ونصبت نفسك على الصليب ملكاً إلى الأبد، لأنه قد دُفع إليك كل سلطان فى السماء وعلى الأرض (مت٢٨ :٨).

ما أعجب رفضك للعنف لكى تكمل الكتب أنه هكذا ينبغى أن يكون، ولأنك لا تريد أن يدافع عنك أحد ضد من جرحوك بل تريد أن تشفى الكل بهذه الجراحات عينها، فبجراحاتك شفيت كل الجروح. ما أعجب أنك تموت فى الوقت المعين عن الفجار، وما أعجب أن تصالح العالم لنفسك غير حاسب لهم خطاياهم، وذلك بذبيحتك المقبولة الوحيدة، والتى صارت لله أبيك رائحة طيبة اشتمها رائحة سرور ورضى عن جميعنا.

المسيح أمام رئيس الكهنة

ما أعجب القبض على ذاك الذى به يمكن أن يتحرر الكل من رباطاتهم، وكما كان هناك من إستهزأ بك يا رب، كان هناك ايضاً من خلص بواسطتك فى تلك الساعة ويردد «قد حللت ربطى» (مز١٦٦ :١٦).

ما أعجب العار الذى حملته وقد كسر قلبك (مز٦٩ :٢٠) بينما أنت تحمل كرامة أبيك وتعمل مشيئته. وما أعجب أن تتعرى لتصلب على خشبة كمجرم ويشهر بك بينما أنت حامل المجد كله، وأنت الذى تعينت بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات (رو١ :٤).

وما أعجب قول بيلاطس ثلاثة مرات أنه لا يجد فيك علة ويراك مبرراً من كل عيب. فعظيم هو سلطانك أيها المسيح المصلوب، فبعد كل السخريات والاتهامات

والتعيير تحرك هذه القلوب نحو الندامة.

ما أعجب سكوتك وقت المحاكمة إذ أنك لم تفتح فاك، لأنك شبه الحمل محسوباً فى صمتك باراً غير مذنب. وما أعجب أن تحتقر كواحد منا بينما أنت نسمة كل الأرواح المقدسة فى السموات. ما أعجب إحتمالك للطم بصبر لتعلن عن وداعتك الإلهية التى لا تقارن. وما أعجب أن يسخروا منك كجاهل بينما أنت المذخر فيك كل كنوز النعمة والمعرفة وأنت الناظر للخفيات التى فينا.

وما أعجب بيلاطس الوالى عندما علم أنهم سلموك حسداً. وما أعجب قول زوجة بيلاطس عندما قالت له «إياك وذلك البار، لأنى تألمت اليوم كثيراً من أجله» فكان ذلك القول ليس لبيلاطس وحده وإنما للمتآمرين لكى يروا ويسمعوا بيلاطس غريب الجنس وهو يعلن برائتك بغسل يديه قدام الجميع وهو يعلن أنه برئ من دمك أيها البار.

ما أعجب أن الذى دينَ يجلس دياناً، وأن الذى وقف أمام كرسى الوالى يُدان عن جرائم زور بينما هو الَذى سيدين الجرائم الحقيقية. وما أعجب نوح الأشرار فى مجيئك عندما يروك وقد حملت الجراحات بسببهم. وما أعجب رؤية الذين طعنوك لجنبك المطعون، إذ أنهم سيقرعون صدورهم، لأنهم لم يكونوا يعرفونك قبلاً بسبب إتضاع جسدك، بينما ستكون رؤيتك مكافأة للأبرار ليدخلوا أفراحك وأمجادك فيتنعمون بما لا يستطيع الأشرار معاينته.

ما أعجب أن يقوم عليك شهود الزور بينما أنت الشاهد الصادق والأمين. وما أعجب أن تحاكم بينما لم تأت لتدافع عن نفسك بأنك بار وتبرر، لأنك جئت خصيصاً لا لتتبرأ بل لتحمل الخطية، حتى أن كل الإتهامات التى قُدمت ضدك لم تنفها، بل رضيت بها كصانع لكل الخطايا ومن ثم تموت بناءً على ذلك فهذا صميم رسالة فدائك أن يموت البار لأجل الأثمة.

ما أعجب سكوتك الذى اُعتبر قبولاً لحكم الصلب، إذ هكذا تكون قد صُلبت بإرادتك وحدك وحملت فى نفسك الأحكام الواقعة بعدل على الخطاة وصرت لعنة لأجلنا بينما اللعنة هى لنا، وأنت لُعنت من أجلنا بينما لم تعرف خطية، لكى تعتقنا نحن من اللعنة القديمة، وأنت قادر أن تحقق ذلك لأنك الإله الذى فوق

الكل وتألمت من أجل الكل ليقتنى الكل الفداء بموت جسدك الخاص.

ما أعجب أن يشتكوا عليك ويعتبرونك فاعل شر فيسلموك، لأن بهذا يا رب وُضع عليك إثم جميعنا (أش ٥٣ :٦) ولهذا حملت فى نفسك خطايانا فى جسدك على الخشبة (١بط٢ :٢٤). وما أعجب وجهك البرئ الذى ينطق لا بالبراءة فقط بل بالبرارة حتى أن بيلاطس بدأ يخاف منك (يو١٩ :٨) بينما كان الطبيعى أن الذى يخاف هو المقبوض عليه والذى يُحاكم وليس الوالى القاضى. ما أعجب أن يقول «أنا لست أجد فيه علة واحدة» (يو١٩ :٤).

المسيح أمام رئيس الكهنة

ما أعجب أن تكون محاكمتك أمام شهود زور، وأن تتم ليلاً مخالفة بذلك التقليد اليهودى فى المحاكمات، وفى غياب شهود الدفاع عن المتهم. وما أعجب إتهامك بالتجديف. وما أعجب تلفيق التهم لك، وأسلوب الهزء والإهانات التى استعملت فى محاكمتك، مما يثبت أن السنهدريم كان قد بيت النية للقضاء عليك، بينما أنت قاضى المسكونة كلها.

ما أعجب قولك أنك ابن الله أمام المحاكمة، وما أعجب قولك عن اليهود: «لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لا يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى» (يو١٥ :٢٤)، إذ أنهم رأوك فعلاً تعمل أعمالاً لم يعملها أحد غيرك وقالوا فيك: «ماذا نصنع فإنه يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به» (يو١١ :٤٧)، حتى أن بيلاطس اكتشف أنهم أسلموك حسداً (مت٢٧ :١٨، مر١٥ :١٠)، وأنت قد أُعطيت سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد لك كل الشعوب والأمم والألسنة، وسلطانك سلطان أبدى لن يزول وملكوتك لن

ينقرض (دا ٧ :١٣، ١٤).

ما أعجب أن يعتبرك الذين حاكموك مجدفاً. لقد اعتبروا أن كلماتهم مبرر لجريمتهم، بينما هى فى نظر المؤمنين باسمك بمثابة استعلان للحق، أما بالنسبة لك فقد قادتك شهادتك عن نفسك إلى الصليب الذى سبقت وأنبأت تلاميذك عنه.

ما أعجب ذبيحتك التى أبطلت كل الذبائح الأخرى والتى كانت سابقة لك كرمز وظل. ما أعجب أنك وقفت أمام هيرودس ولم تجبه بشئ بينما الكل يشتكون عليك بإشتداد . وما أعجب وقوفك أمام بيلاطس ساكتاً لا تجب بشئ مما جعله يتعجب من صمتك، إذ أن صمت المتهم فى الدفاع عن نفسه معناه ثبوت الإتهام، لتحمل أنت يا ربى كل خطايا الإنسان ولتصير لعنة لأجلنا وتحمل فى نفسك خطايانا.

ما أعجب هياج اليهود ومؤامرتهم ضدك ودينونتهم عليك، إلا أن بهذه الدينونة إنكشف كذب رئيس هذا العالم، وهكذا بدينونتك أدان العالم نفسه «الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً» (يو١٢ :٣١). ما أعجب شخصك القدوس ووجهك الهادئ العذب ووثوقك فى أنك الحق، وبسببك صار بيلاطس وهيرودس صديقين لأنهما كانا من قبل فى عداوة (لو٢٣ :٨-١٢).

ما أعجب أن يُقبض عليك مع أن يمينك مقتدرة وقوتك لا تُهزم. وما أعجب أن تُوثق بالحبال أنت الذى جئت لتخلص الذين كانوا فى قبضة العدو من طغيانه غير المحتمل.

ما أعجب أن تعطينا بنفسك مثالاً للإحتمال، وأنك لما ضُربت احتملت بصبر ولما شُتمت لم تشتم مقابل الشتيمة، وعندما تألمت لم تهدد بل أعطيت ظهرك للضاربين وخديك للاطمين ووجهك لم تدره عن البصق، وعندما إقتادوك إلى الموت ذهبت طواعية وعندما عانيت الآلام كنت تصوغ لنا الحرية. لقد قبلت أن تنزل إلى عالم الفناء حتى يلتحف الفناء بالخلود، وصرت ضعيفاً من أجلنا لكى نقوم نحن فى قوة، وقبلت الموت لتمنحنا الديمومة وتهب الذين ماتوا نعمة الحياة، ودست الموت حتى إذا ما متنا نحن كبشر نحيا ثانية ولا يسود علينا الموت.

ما أعجب أن يستهزأ بك العسكر ويحتقرونك. وما أعجب أن يبصقوا عليك ويضربوك على رأسك. وما أعجب أن يجلس العسكر ليحرسوك بينما أنت لست محتاجاً إلى حراسة بل سمحت أن يخضع جسدك للحراسة لتكون حياتنا محفوظة بعنايتك ومحروسة بقوتك.

ما أعجب مضيك مع العسكر إلى داخل دار الولاية وأنت وسط الذئاب الضارية، بينما هم يجازوك عن الخير شراً وقد صروا عليك بأسنانهم، وأنت بقلبك الوديع البرئ المحب للبشر قد تألمت عندما كان جسدك معلقاً على الصليب، وتألمت عندما طُعن جسدك بالحربة، وتألمت عندما وضعوا جسدك فى القبر، إلا أنك أقمت جسدك وأظهرته جلياً لتلاميذك بل وسمحت لهم أن يلمسوك بأياديهم ويضعوها فى مواضع الحربة والمسامير، فتطهرنا جميعاً بموتك لأننا معك متنا وقمنا وتمجدنا.

الجلد بالسياط

ما أعجب جروحك التى صارت ثمن معاصينا وما أعجب سحق عظامك لأنه ثمن آثامنا. وما أعجب إستهزاء العسكر لأنه ثمن سلامنا. وما أعجب الشوك وضرب رأسك لأنه ثمن خزينا. لقد ضربوا رأسك التى لم يكن لك أين تسندها وكللوها بالشوك لأنها ستحمل خطية الإنسان وكل فجوره. وما أعجب أن تُحصى مع الأثمة وأن يحسبوك مرفوضاً، لكنها الكأس التى أعطاها لك الآب لتشربها (يو١٨ :١٢).

ما أعجب عريك الذى به سترت عرينا وألبستنا ثياب برك. وما أعجب ضربك على رأسك وأنت الذى تنحنى وتجثو له كل الرؤوس. ما أعجب مسامير التى بها مزقت صك خطايانا. ما أعجب قول بيلاطس للشعب

«أؤدبه واطلقه»، وما أطلقك بل اطلق باراباس بينما أنت مؤدبنا جميعاً، وأنت الذى أعطيت إطلاقاً للذين قبض عليهم فى الجحيم.

ما أعجب إحتمالك للطمة عبد رئيس الكهنة على خدك. وما أعجب صبرك على الإمتهان والتلفيق، وأنت ساكت وهم مسرورون بسكوتك بينما هم أسلموك حسداً وأنت راض بكل ما عملوه. ما أعجب هدوئك أمام المحكمة وإحتفاظك بالغفران والصفح وأنت صامت كملك، بينما لابد أننا جميعاً سنظهر أمام كرسيك فى اليوم الذى فيه ستدين سرائر الناس.

ما أعجب أن يلبسوك الرداء معتبرين أنه لباس الملوك، وما أعجب أن يضفروا لك الشوك الذى كان تكميلاً لقول الله لآدم «شوكاً وحسكاً تنبت لك الأرض» (تك٣:١٨). وما أعجب القصبة التى فى يمينك كصولجان الملك. وما أعجب لقاءك مع النسوة فى طريق الآلام، حيث قابلتك النسوة بالنواح والبكاء بينما رددت عليهن «يا بنات أورشليم لا تبكين علىّ بل ابكين على أنفسكن» (لو ٢٣:٢٨) إذ أنك لست أنت الذى يبكى عليك. وما أعجب صورتك التى إنطبعت بالدم على منديل القديسة ڤيرونيكا.

وجه المسيح

وما أعجب أن تعطش من أجلنا مع أنك أنت الذى تمنحنا الشراب بهباتك الخلاصية، لأن هذا هو مجدك وهذه هى عجيبة لاهوتك، أن يعطش ينبوع الحياة عطشنا لكى بهذا ينبهنا قائلاً «إن عطش أحد فليقبل إلىّ» (يو٧:٣٧). وما أعجب أن يصير حملك لآلامنا هو مسرتك فى أن تسحق بالحزن....وما أعجب أن تقبل الموت عنا، فلكونك أنت الحياة متّ لكى لا نموت نحن، بل نصير دائمى الحياة... ما أعجب أن تصير جسداً لكيما تقيم الجسد بالكلمة. **إنها قصة الحب العجيب التى تجلت على الصليب...**

سمعان القيروانى يحمل الصليب

ما أعجب سقوطك تحت الصليب يا رب وما أعجب أن يحمل سمعان القيروانى الصليب بدلاً منك ويكون هذا القيروانى مصدراً يأخذ عنه الإنجيليون القصة بدقائقها. وما أعجب أن تسقط بالصليب ثلاثة مرات على طريق الآلام الضيق. لقد ذهبت يا رب إلى الجلجثة ورافقك فى المسيرة إثنان من اللصوص وهناك فى الجلجثة حيث دفن آدم، امتلكت الحياة وملكت عوض الموت.

ما أعجب ما أصابك من إنهاك تحت ثقل الصليب حتى أنهم سخروا سمعان القيروانى ليحمله بينما أنت الحامل كل شئ بكلمة قدرتك. ما أعجب أن تحمل الصليب على منكبيك وليس فيك صحة بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بالزيت (أش١ :٦) بينما أنت مصدر كل قوة والذى يرطب الجميع بزيت النعمة، إلا أنك وجدت فى الهيئة كإنسان وفى الحقيقة أنت ابن الانسان ولاهوتك لم يفارق ناسوتك.

ما أعجب أنك لم تترك وسيلة لتخلص بها على كل حال قوماً حتى فى وقت صلبك: أنقذت باراباس وخلصت اللص اليمين وحولت قائد المئة وسخرت سمعان القيروانى وتلامست مع من طعنك وجعلتنا جميعاً نتقدم فى ثقة إلى عرش نعمتك لكى ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه.

ما أعجب القصبة لأنها صارت صولجاناً. وما أعجب جلدات جسدك لأنها شفت البشرية. وما أعجب إكليل الشوك المظفر الذى يدمى جبهتك لأنه صورة لإكليل مجدك الأبدى، فمجدك حوله هؤلاء الأثمة إلى شوك وخزى وعار بأيديهم. فما أعجب رأسك التى ضربوك عليها بالقصبة فبهذه تقودنا يا رب إلى أبيك.

ما أعجب أن تصير وكأنك لص محتقر ومخذول بينما أنت أبرع جمالاً من بنى البشر. وما أعجب أن تتجرع الأوجاع وتختبر الحزن ولم يعتد بك بينما أنت الذى تحمل أثقال وهموم العالم. وما أعجب قطرات عرقك التى كانت كقطرات الدم لأنها آلام الفداء.

ما أعجب قولك «نفسى حزينة جداً حتى الموت» فهل كنت تحزن من هروب التلاميذ وإنكار بطرس؟ أم من خيانة يهوذا؟ أم من أن الجميع قد تركوك؟ بينما أنت قد قست طريق الآلام بشبرك ودست معالم الموت والهاوية قبل أن تجتازها.

القرعة على ثياب الرب

ما أعجب أن يربطوك ـ «فأوثقوا يسوع» ـ فكيف تقيد يدى رب الحرية؟ لقد قبلت القيود فى يديك لتستطيع أن تفك قيودنا الأبدية من الخطيـة والشـيطان، إذ أنك لم تستـعف من تقديم ذبيحة الآلام حتى تصل نعمة الخلاص للجنس البشرى كله.

ما أعجب ثوبك الثمين المنسوج قطعة واحدة، هذا الثوب الإلهى الذى ألقوا عليه القرعة فيما بينهم. وما أعجب أن تؤخذ ملابسك قبل الصليب بيد العساكر الصالبين الرومان، وبالعظم ثوبك الذى نسجته لك مريم العذراء أمك بيديها.

ما أعجب قميصك الذى ألقوا عليه قرعة إلا أنهم لم يمزقوه، لتجعل كنيستك منسوجة بيدك غير منقسمة ولا منشقّة ووحدتها مقررة ومعانة من عندك، ولتصير كنيستك كقميصك بغير خياطة فلا تنحل أبداً، منسوجة كلها من فوق من السموات، إذ أنها فائقة المعرفة، مرتبطة برباط الكمال، فجعلتها كقميصك كله فلا يستثنى أحد

من وحدتها. إنه قميص المحبة الأبدية وقميص صورة الإيمان الذى بشرنا به بدون تقسيم.

ما أعجب الثوب القرمزى الذى تلطخ بدمك الكريم لأن به ألبستنا ثوب المجد والطهارة الأبدية، إذ أنه ليس دم إنسان يفسد بل دم المسيح الحى، دم ابن الله. وما أعجب ظهرك المجلود بالسياط لأن به دفعت عقوبتنا وجددت لحمنا وعظامنا، وما أعجب قبولك للإهانات والبصق واللطم لأن بها تقبلت ورضيت أن تكون حاملاً لآثامنا ومعاصينا فتأديب سلامنا عليك لأن بجراحاتك شفينا.

ما أعجب أن تكون أنت يا رب فصحنا الذى ذُبح لأجلنا بينما أنت الراعى والكاهن الأعظم والطريق والباب وكل شئ معاً لنا. وما أعجب أن تدان وتحاكم بينما أنت الديان. وما أعجب ما وقع عليك من تعييرات المعيريين بينما أنت الذى ترد إلينا بهجة خلاصنا. وما أعجب أن تحمل اللعنة والعار لأجلنا بينما أنت القدوس الذى بلا عيب. وما أعجب موتك بينما أنت الذى لم يكن ممكناً أن يمسكك الموت، لذا أبدت الموت وزعزعت سلطانه.

ما أعجب دمك الذكى الذى به صار تطهير نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا، بينما قديماً كان دم التيوس يرش على المنجسين لتطهير الجسد، بينما بدمك المرشوش الآن ليس فقط سيعبر المهلك بل سيكون على عتبة أورشليم السمائية ليدعونا لحضور الوليمة الدائمة.

ما أعجب إن تشاركنا بشريتنا وتتبنى قضينا وتضع نفسك متهماً بدلاً عنا لكى تكتسب لنا النصرة. وما أعجب أن تتخذ شكل العبد لكى يظفر العبيد بنعمة الحرية والبنوية. وما أعجب إخلائك لنفسك يا رب لتكمل سر تدبير تعطفك الجزيل. وما أعجب أن ترتضى الذل والهوان لتحقق لنا الرفعة من بعد سقوطنا، فعذابك صار لنا كنزاً وأوجاعك صارت لنا تنعماً ومرارتك صارت لنا حلاوة، وخزيك صار كرامة لنا، إذ قبلت أن تجرب لتهبنا النصرة، وأُهنت لكى تمجدنا، فقدوس أنت لأنك أظهرت بالضعف ما هو أعظم من القوة.

ما أعجب أن تُرفع على الصليب لتصالح العالم لنفسك غير حاسب لنا خطايانا

وواضعاً فينا كلمة المصالحة، بينما بإرتفاعك عن الأرض جذبت إليك الجميع. وما أعجب أن تجعل نفسك خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيك، ولنصير من أجلك كل ما صرته من أجلنا.

ما أعجب أن تُثمن يا رب بثمن العبيد آنذاك، وبأن تُجرح فى بيت أحبائك. لقد أخذت على نفسك ما كان أقل حسناً لتعطينا ما هو أفضل. وما أعجب أن تجعل نفسك فقير البشرية لكى نصير نحن أغنياء بفقرك. وما أعجب أن تأخذ صورة عبد لتعتقنا من العبودية، وأنت تنزل لتصعدنا. وما أعجب أن تموت لتحيينا وتصعد إلى السماء لتجذب إليك المطروحين فى الخطية. وما أعجب نزولك لأن به جعلتنا قادرين على الصعود، فنزولك إلى الجحيم إلى عالم الموتى كان أعظم إظهار وإعلان للحياة، إذ أن نزولك إلى الجحيم حول الموت نفسه إلى حياة!!

ما أعجب إن تصير آلامك وصلبك ودفنك وقيامتك هى فصح الكنيسة الدائم والمستمر. وما أعجب أن يكون عملك الفصحى الإلهى موضوع لهج كل مؤمن حقيقى، خلاله يعبر من مجد إلى مجد، لأن صليبك وقيامتك هما مركز الإنجيل. ما أعجب أن يتحقق سر الفصح فى جسدك وأنت تقاد كحمل وكشاه تذبح لتخلصنا ولتحررنا من عبودية الشيطان خاتماً نفوسنا بروحك ومقدساً أعضاءنا الجسدية بدمك.

ما أعجب الحمل الصامت الذى أُخذ من القطيع وأُقتيد للذبح فى المساء ودُفن فى الليل ليخلصنا من العبودية إلى الحرية، ومن الظلمة إلى النور، ومن الظلم إلى الملكوت الأبدى. وما أعجب أن تكون المسامير المسمرة والألسنة المجدفة والشهادات الزور قصة حبك العجيب التى ذبحت الشيطان وجردت الرياسات والسلاطين لتمسح العالم كلة بدم العهد.

ما أعجب ذبيحة فصحك الحقيقى لأنها بالنسبة لنا بدء الحياة الأبدية التى صارت فى آخر الأزمنة (عب٩ :٢٦) والتى بها أعلنت نهاية الناموس وغايته (رو١٠ :٤). وما أعجب قلبك الحنون الذى ذاب فى وسط أحشائك، وقوتك التى نشفت كزق، ولسانك الذى لصق بحنك.

الصليب

ما أعجب أنك جئت لتخلصنا، جئت ليس من أجل نفسك بل من أجلنا، وأخذت شكل العبد (فى٢ :٧) بينما أنت الإله ابن الله والملك ابن الملك، لكنك من أجلنا صرت هكذا فى شبه الناس وأطعت حتى الموت موت الصليب، لكى تشفق على شعبك ولا تسلم ميراثك للعار.

ما أعجب أنك تعلمت الطاعة مما تألمت به، وإحتملت الصليب مستهيناً بالخزى لكى بدمك الخاص تشترى كل ما تحت السماء وتحرر كل الناس من دين العصيان، وكأنك تقول لنا: «إنى أموت من أجل الجميع لكى أحيى الجميع بنفسى لأنى جعلت نفسى فدية عن أجساد الجميع، فإن الموت سيموت بموتى»، ولم تكن هناك وسيلة أخرى لإبادة ذاك الذى له سلطان الموت ولإبادة الموت نفسه ايضاً إلا بأن تبذل نفسك فدية من أجلنا، الواحد من أجل الجميع لأنه فائق للجميع.

ما أعجب أن يموت الحمل الواحد من أجل الجميع لكى يخلص كل القطيع الأرضى لله الآب، الواحد من أجل الجميع لكى يخضع الجميع لله ولكى يربح الجميع، حتى فيما بعد لا يعيش الجميع من أجل أنفسهم بل من أجل الذى مات من أجلهم وقام. فإذ كنا بعد خطاة مباعين للفساد والموت بذل الآب ابنه فدية من أجلنا، الواحد من أجل الجميع لأن الجميع فيك وأنت أكرم الجميع، الواحد مات من أجل الجميع ليعيش الجميع فيك.

ما أعجب أن تأخذ على عاتقك جميع ضعفات البشرية. وما أعجب حب أبيك الذى من أجل حياة العالم قدم ابنه الخاص وحيد الجنس الذى هو منه حقاً، فأى عقل وأى سمع يقدر أن يحد لجة محبتك للبشر التى لا توصف يا الله، فمن أجل

تحننك ومحبتك للبشر أخضعت نفسك للآلام والإهانات لكى تبطل الألم، وغلبك تحننك لكى بموتك المحيى تبطل الموت وتتدفق نحونا جميع الخيرات. وما أعجب أنك تألمت خارج المحلة وتأخذ وضعنا لكى تعطينا وضعك، فبخروجك خارج المحلة دفعت الثمن الذى ندخل به نحن «دعى اسمه عجيباً» (أش٩ :٦).

ما أعجب أن تُحسب مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً، بينما أنت الذى ناديت بالخلاص للناس، فكيف لا تخلص نفسك وأنت منقذ حياتنا من الفساد ومكللنا بالمراحم والرأفات!! وما أعجب أن ينقض هيكل جسدك بينما لا تزول كلمة واحدة من كلامك ولن تزول ولو زالت الأرض والسماء، فلقد كان موتك مرة واحدة بلا تكرار، لأنك لم تمت عن ضعف بل عن قوة الحب الخلاصى الباذل، لكى إذ لا تموت مرة أخرى تهبنا، ونحن نشترك معك فى موتك، أن نشاركك قيامتك التى لا يغلبها الموت.

ما أعجب أن تكون لعنة لنتبارك نحن. وما أعجب أن تتعرى لتكسو آدم المفضوح. ما أعجب أن يكون أكليلك من الشوك لتقتلع أشواكنا. ما أعجب أن يبصق عليك بينما أنت جئت لتحتضن البشرية. وما أعجب أن تقبل آلامك لنتبرأ بإتهامك ونحيا بموتك.

ما أعجب دمك الذكى الذى يحفظ من الموت الذين يؤمنون بك، فإذا كان دم الخروف الأعجم فى القديم قد أعطى خلاصاً، أفلا يقدر دمك بالأحرى أكثر كثيراً جداً، وأنت الذى لم تعرف لعنة قد صرت لعنة، وأنت الذى لم تعرف خطية قد صرت خطية لأجلنا لتقدم دمك مهراقاً ومعتصراً فى كأس خلاصنا. ما أعجب دمك الذى دخلت به مرة واحدة إلى الأقداس فوجدت لنا فداءً أبدياً. وما أعجب دمك الذى بروح أزلى يطهرنا من الأعمال الميتة. وما أعجب دم نفسك الذى قدست به الشعب لما تألمت خارج المحلة، وبقربانك قربتنا لأبيك وأكملت إلى الأبد المقدسين فى دمك المعروف سابقاً قبل تأسيس العالم.

ما أعجب الربوبية التى كانت فى شكل العبد. وما أعجب المجد الإلهى فى الهوان البشرى. وما أعجب الكرامة الملكية فى المذلة المتناهية، إلا أنه بينما يراك البعض مجرد شخص منظور، نحن نرى فيك اللوغوس الذى من الله الآب لتمتزج

الحياة بالموت، ونحن نؤمن أن لاهوتك لم يفارق ناسوتك لحظة واحدة ولا طرفة عين.

ما أعجب أن يكون المصلوب هو نفسه اللوغوس وحيد الآب والأزلى وغير المائت والواحد من الثالوث. وما أعجب أن يكون صليبك هو عرشك يا الله إلى دهر الدهور. وما أعجب أن يكون ملكك على خشبة يا ملك الكل. وقدوس أنت لأن لا يمكن للموت أن يمسكك وهو لا يعرفك.

ما أعجب أن تأتى بيننا لتقدم ذبيحة نفسك عن الجميع، لأنه كان ضرورياً أن يُوفى الدين الذى استحق على الكل إذ استحقوا الموت بسبب الخطية. وما أعجب أن تسلم جسدك للموت لكى تحرر البشرية كلها من معصيتها القديمة ولتظهر أنك أقوى من الموت بقيامتك بعد أن تممت الموت نيابة عن الجميع لتوفى الدين المستحق عليهم.

ما أعجب أن يكون موتك أصل ورأس ومبدأ الحياة لنا، فذبيحتك وضعت حداً لحكم الموت الذى كان قائماً ضداً لنا، ووضعت لنا مبدأ الحياة برجاء القيامة من الأموات الذى أعطيته لنا. وما أعجب أن تقهر الموت وتشهر به على الصليب فلم يعد للموت سلطاناً بل قد مات موتاً حقيقياً.

ما أعجب إظهارك لمجد لاهوتك قبل آلامك على جبل طابور، ذلك المجد الذى أدهش تلاميذك، حتى عندما يرونك مصلوباً يفهمون أن آلامك كانت بإختيارك. وما أعجب تجليك وآلامك وموتك ودفنك فكلها أفعال إنتصارية مضيئة بقوة لاهوتك.

ما أعجب أن تتعب من ثقل حمل الصليب بينما أنت راحة التعابى والثقيلى الأحمال (مت١١ :٢٨). ما أعجب أن تكون كخروف سيق إلى الذبح بينما أنت راعى إسرائيل بل راعى العالم كله، وكحمل كنت صامتاً مع أنك أنت الكلمة. وما أعجب أن ينشق حجاب الهيكل فى يوم صلبك لتفتح أبواب السماء السرية.

ما أعجب رائحتك الزكية التى هى موتك، فبذبيحتك ننال القوة لشفاء طبيعتنا وتقويتها، ونتمكن من مقاومة الموت والخطية. إن محبتك العظيمة من نحونا لم

تجعلك تطلب أدنى شئ لنفسك من وراء تقديم ذبيحتك، بل كل شئ كان مدبراً لأجلنا ولأجل خلاصنا.

ما أعجب أن تأخذنا كلنا فى حضنك على عود الصليب، لأن حبك مع دمك المسفوك وأثار المسامير فى يديك وأثار طعنة الحربة فى جنبك، يجعلنا حاملين فى أجسادنا كل حين إماتتك، لكى تظهر فينا حياتك المجردة من سطوة الموت، ونبلغ فى الدهر الآتى إلى أن نصير على مثالك (١يو٣ :٢).

ما أعجب أن الآب السماوى تقبل ذبيحتك يا يسوع ليس لأنه كان محتاجاً إليها، بل لأنه فى تدبيره كان لابد للإنسان أن يتقدس من خلال بشريتك. ما أعجب أن تدعونا لنفسك من خلال خلاصك العجيب الذى أكملته لمجدك.

الصعود على الصليب

ما أعجب صعودك على الصليب، وما أعجب حوادث الصلب وأدواته وظروفه ومناسباته وأقواله وأعماله التى هى صدى تصويرى للنبوات القديمة، فصليبك هو مركز الحياة والموت معاً، وصعودك على الصليب هو حكم عام ببراءة الانسان إذ لا دينونة الآن على الذين هم فيك يا يسوع المصلوب. وما أعجب خشبة صليبك المحيية التى صارت علامة نصرة وإفتخار (ارتفاع على الصليب وارتفاع بالقيامة وارتفاع بالصعود).

ما أعجب صعودك على الخشبة بينما ملعون كل من علق عليها، لكنك لم تمسك يا رب فى اللعنة بل حملتها وألغيتها، وأعطيتنا أن لا تسود علينا الخطية لأننا تحت النعمة، وبصعودك على الصليب اشتريتنا وعملت لنا الصلح بدمك وباحتمالك للصلب مستهيناً بالخزى من أجل السرور الموضوع أمامك.

ما أعجب أن تُصلب عوض باراباس فتأخذ أنت موضع هذا القاتل (يو١٩ :١٩-٢٢). وما أعجب أن تكون علة صلبك أنك ملك اليهود لتنهى محاولة آدم أن يكون ملكاً بدون الله، فإذا كان آدم الأول قد أراد أن يملك بالتمرد على الله ، جئت أنت آدم الثانى لكى تملك بالطاعة والبذل (فى٢ :٥).

ما أعجب أن تُكتب علة صلبك بثلاث لغات «العبرانية واليونانية واللاتينية»، فالأولى لغة الدين والثانية لغة الفكر، والثالثة لغة المجتمع، وكأنك أردت أن يكون هذا تمهيداً لطريق الكرازة بخلاصك العجيب على مستوياته الثلاثة الدينية والفكرية والإجتماعية. لقد أردت بتدبيرك الإلهى غير المدرك أن يكون هذا العنوان بلغاته الثلاثة إعلاناً لملكوتك جهاراً بأكثر اللغات المعروفة.

ما أعجب يوم جمعة صلبوتك. إنه يوم واحد معروف لم يكن فيه نور (زك٤ :٦) فلم يكن نهاراً عادياً تُشرق فيه الشمس كعادتها من الشروق إلى الغروب، بل فى ذلك اليوم غيّب الله الشمس فى الظهر وقتمّ الأرض فى يوم نور (عا ٨ :٩)، لأن أذهان صالبيك قد إلتحفت بالظلمة والإظلام فلم ينظروا (مز٦٩ :٢٣). فما أعجبك أيها المسيح المصلوب يا من ألبست السموات ظلاماً وجعلت المسح غطاءها فى ذلك اليوم (أش٥٠ :٣).

ما أعجب يديك المبسوطتين على عود الصليب لتجمع الشعوب، فهاتان اليدان تجمعان الكل لأن رأسك تتوسطهما لتكون إله واحد على الكل وبالكل وفى كلنا (أف ٤ :٦) حيث أن خلاصاً واحداً من الأنبياء إلى الإنجيل حققه الرب الواحد عينه عندما بسط يديه لصالبيه لأنه هو ذلك العبد المتألم الممدود الذراعين لخلاص كل الشعوب، والذى على امتداد ذراعيه سيثبت بره وحقه نوراً للأمم.

ما أعجب أن تُحيط بك ثيران كثيرة وأن تُوثق كذبيحة بربط على قرون المذبح، وما أُعجب أنهم قد ثقبوا يديك ورجليك واحصوا عظامك. وما أعجب أن يحصوك مع الأثمة وينظرون إليك ويتفرسون فيك. وما أعجب أن يقتسموا ثيابك بينهم وعلى لباسك يقترعون. وما أعجب أن يجعلوا فى طعامك علقماً وفى عطشك يسقونك خلاً. وما أعجب أن تُحفظ جميع عظامك وواحدة منها لا تنكسر.

ما أعجبك يا رب وأنت مُسمر على الصليب كمن تقول لنا: «لا شئ يمكنكم

أن تصنعوه بى قادر أن يوقف محبتى من نحوكم. من الممكن أن تضربونى وتسحقونى وتجلدونى، ويمكنكم أن تصلبونى، لكننى لن أتوقف عن محبتكم، هذا هو عظم محبتى لكم (يا أبتاه إغفر لهم)». إن ما حدث على الجلجثة كان نافذة يمكننا أن نرى من خلالها قلب المحب المتألم من أجلنا. لقد قدم الإنسان لله ذبائح كثيرة لعدة قرون خلت، أما أنت يا رب فما أعجب ذبيحة جلجثتك التى قدمت فيها ذاتك فدية عن الإنسان، وهذا هو حبك العجيب لكل واحد منا.

ما أعجب صليبك وآلامك التى جمعت الجرح والدواء معاً، المرضى والطبيب، فما قد سقط فى الموت أقمته من جديد إلى الحياة، وما وقع تحت الفساد طردت الفساد عنه. لقد ظهرت كأنك أُمسكت فى الموت بينما أنت أقوى من الموت. أرادوا أن يحرموك من الحياة وأنت مُعطى الحياة. إنه سر أتحادك أيها الكلمة بالجسد الإنسانى لتصنع سر الفداء.

ما أعجب أن تُصلب بين لصين، واحد عن يمينك والآخر عن يسارك، بينما أنت سيد عظيم ورب وفادى. وما أعجب أنهما احتلا اليمين واليسار لك يا رب عوض يعقوب ويوحنا. وما أعجب أن الذى صُلب على يسارك كان يعيرك لكى تحصى مع أثمة ليس بسبب اللصين بل من أجل أنك حسبت خاطئاً من الخطاة بل أخطى الخطاة جميعاً، بل الحامل للخطاة ولخطاياهم معاً. وما أعجب هذا اللص الذى آمن فى الوقت الذى فيه فشل المعلمون، واعترف بذاك الذى رأه مسمراً على الصليب ولم يره قائماً أو ملكاً. وما أمجدك وأعجبك يا يسوع المصلوب لأنك جلبت اللص المصلوب معك من الصليب إلى الفردوس.

ما أعجب أن تُصلب مع لصين ومن أجلهما حتى أن من يقبلك منهما ترتفع به إلى فردوسك. ما أعجب أن تفتح باب الفردوس للص وأنت معلق على الصليب بينما هو لم يراك متجلياً على جبل طابور، لكنه رأى المسامير والصليب والهزء، وأبصر صليبك وعرش قضائك الذى صُلبت عليه أيها الديان فى الوسط ، لكنه آمن فخلص، والآخر جدف فدين، لتتأكد الخليقة كلها من أنك ديان الأحياء والأموات، نعم فالبعض سيكون عن يمينك والآخر عن يسارك.

ما أعجب أن يُجدف عليك وأن تتهم بأنك لا تقدر أن تخلص نفسك بينما

أنت وضعت ذاتك بإرادتك وسلطانك وحدك لترضى مشيئة أبيك، وأنت القادر أن تحضر جيوش من الملائكة لتهلك الأثمة، لكن كان يجب أن تشرب الكأس التى يريد الآب أن يقدمها لك.

ما أعجب أن تُصلب أنت العود الرطب الذى تحمل أوراقاً وثماراً وأزهاراً التى هى تعاليمك وقوة لاهوتك ومعجزاتك التى لا ينطق بها. حقيقة أنك العود الرطب لأنك أنت الحياة وقوة الطبيعة الإلهية أما نحن البشر فندعى العود الجاف، ولكن بك تكون لنا الجرأة والقدوم عن ثقة (أف٣: ١٢)

ما أعجب أن يتمدد جسدك على خشبة الصليب وأنت الحمل الذى بلا عيب ولا دنس، بينما صنعت هذا التدبير الخلاصى لتجعل حياة البشر تعبر من الشر إلى الخير. وما أعجب أن يموت الحمل الإلهى نحو المساء لأن آلامك تمت فى آخر الزمن حيث مساء العالم، فليس فى مقدور أحد آخر أن يجعل المائت غير قابل للموت سواك أنت يا ربى يسوع المسيح إذ أنت «الحياة نفسها» يا صاحب الاسم العجيب.

لقد حملت حزنى لتهبنى سعادة ونزلت حتى هوة الموت لترجعنا للحياة ثانية، وتألمت لتنصرنا على الحزن. إنك تتألم لا بسبب جراحاتك بل بسبب ضعفاتنا، وهذا الضعف ليس من طبعك يا رب لكنك أخذته لأجلى.

ما أعجب أن يموت الحمل الواحد من أجل الجميع لكى يخلص كل القطيع الأرضى لله الآب، الواحد من أجل الجميع لكى يخضع الجميع لله ولكى يربح الجميع، حتى فيما بعد لا يعيش الجميع من أجل أنفسهم بل من أجل الذى مات من أجلهم وقام. فإذ كنا بعد خطاة مُباعين للفساد والموت بذل الآب ابنه فدية من أجلنا، الواحد من أجل الجميع لأن الجميع فيك وأنت أكرم الجميع، الواحد مات من أجل الجميع ليعيش الجميع فيك.

ما أعجب أن تُصلب على رابية الجلجثة فى المكان الذى دُفنت فيه جمجمة آدم، وهكذا صار مكان صلبك هناك حتى يتقابل معطى الحياة مع معطى الموت ولتنتصر الحياة بالنهاية. إن رفع صليبك فى موضع الجمجمة كان لتهب حياة للعظام الجافة الميتة ولكى لا يعود بعد فى آدم يموت الجميع (١كو١٥: ٢٢) إنما

فيك يحيا جميعنا ونشفى من لدغة الحية القديمة. وما أعجب أن ترتفع على شجرة الصليب فى الجمجمة لتهب حياة لآدم فاقد الحياة بسبب أكله من الشجرة.

آدم وحواء

ما أعجب أنك سحقت أبليس (عب٢ :١٤) بينما آدم الأول غلبه أبليس. وما أعجب أنك قهرت الموت ودست شوكته (١كو١٥ :٥٤) بينما آدم الأول قد مات. ما أعجب أنك أبطلت الخطية بذبيحة نفسك (عب٩ :٢٦) بينما آدم الأول أوجد الخطية. ما أعجب أنك فتحت الفردوس (لو٢٣ :٤٢) بينما آدم الأول أغلقه (تك٣ :٢٤) وبما أن صلبك وموتك كان يوم الجمعة فلا يستبعد أن يكون موت آدم وطرده قد كانا فى يوم جمعة ايضاً.

ما أعجب أن تدخل بوتقة الألم بينما لم تكن قد ارتكبت أية خطية إنما صنعت كل ذلك حباً فينا. وما أعجب آلامك التى كانت فريدة واحتلمتها نيابة عن البشرية لتحقق إرادة الآب، وعوض العصيان الذى مارسه آدم الأول جئت أنت يا رب آدم الثانى لتصحح موقفنا بتسليم الإرادة للآب مع أن إرادتك واحدة مع أبيك، إذ لا توجد إرادة للآب تختلف عن إرادتك أيها الابن، بل لكما مشيئة واحدة ولاهوت واحد، فلم تكن آلامك عملاً تحقق بغير إرادتك.

ما أعجب مُلكك على الصليب، فبينما أراد آدم أن يكون إلهاً، لم ترد أنت آدم الثانى أن تكون ملكاً دنيوياً ولا أن تكون مملكتك من هذا العالم، إذ أن ملكك ملك أزلى أبدى لا يكون له نهاية لأنك مسحت بزيت البهجة أكثر من رفقائك. وما أعجب مُلكك على الخشبة، ذلك الملك السماوى الذى به ستأتى لتدين الأحياء والأموات ولن يكون له إنقضاء.

ما أعجب ملكك الذى اقتنيته بدمك الكريم حين إشتريتنا بعد أن كنا مبيعين بسبب الخطية. وما أعجب رفضك لأى ملك أرضى، فبينما أرادوا أن يأتوا ويختطفوك ليجعلوك ملكاً (يو٦ :١٥) أعلنت أنك مجداً من هذا العالم لست تقبل (يو٥ :٤١) لترد آدم وبنيه إلى فردوس ملكوتك الأبدى.

ما أعجب أن يجعلوا فى طعامك علقماً وفى عطشك يسقونك خلاً ممزوجاً بالمر، لأنه كان ضرورياً ولائقاً بك لأجل التدبير أن تصير إنساناً مثلنا وتمارس أعمالنا عندما استلزم الأمر ذلك، إذ أنك افتديتنا لا بأشياء تفنى بل بدم كريم، وبالجملة رددت كل الأشياء الى الصلاح والكمال مبطلاً تسلط الموت ولعنة الأرض وإنفتاح الجحيم وإغلاق الفردوس وفساد الإنسان وتوحشه (مز٤٩).

ما أعجب يديك ورجليك المثقوبتين يا مسيح الآلام. وما أعجب المعصرة التى اجتزتها ودستها وحدك، بينما دبرت ذلك وقبلته لتحمل عارنا حياً وميتاً، ورضيته من أيدى الأثمة وألسنتهم معاً، وأنت البار الذى بره أقوى من الموت لأنك بر الله، بر الحياة الأبدية، هذا ما أعلنته فى صلاتك الوداعية أنك مجدتَ أبيك وأكملت العمل الذى أعطاه لك، لذلك تمجدت بالمجد الأزلى الذى لك، وتحمله الآن وأنت فى الجسد كبر إلهى لتكون لنا براً نعيشه ونمارسه ونقول الرب برنا.

ما أعجب أفواههم التى فغروها عليك وما أعجب إنسكابك كالماء، فبينما لم يكن هناك من يحكى ولا من ينعى ولا من يدرك صورة آلامك وأحزانك الواقعية، إلا أن سرها يدوى فى عالم الإنسان حتى اليوم وإلى الأبد، إذ تزلزلت أعتاب السماء وسماء السموات لما علق أحد الثالوث المقدس على الصليب!!

ما أعجب أن تذوق الموت، إذ لم تبق مائتاً معنا لأنك أنت الحياة، وكنت حياً حتى عندما ذقت الموت بالجسد فى وقت الساعة التاسعة، محارباً الموت عنا فى جسدك الخاص لتبطله وتستطيع بذلك أن تقدم لأجسادنا المائتة كمال عدم الفساد، وهكذا يصير لنا نحن ايضاً طريق الحياة.

ما أعجب أنك يا رب وأنت على الصليب توصى يوحنا حبيبك وتلميذك على أمك، بينما هى واقفة على رابية الجلجثة تنظر إليك وهى يجوز فى نفسها السيف (لو٢ :٣٥). وها هى واقفة صامتة تشخص نحوك وقلبها يعتصر حزناً وألماً، وبينما أنت قد سبقت ووعيتها تماماً بكل ما ستجوزه إلا أن أحشاءها قد إلتهبت من أجل صلبوتك الذى أنت صابر عليه، أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص.

ما أعجب حملك للصليب وأنت مكلل بالأشواك، لأن بذلك كانت الرياسة على كتفك (أش٩ :٦)، فالصليب هو رئاستك، وإكليل الشوك هو مُلكك، وما

أعـجب أن تُصلب فى مـوضع الجمجمة حيث آدم مدفون، لأنك أنت آدم الثـانى الذى حررتنا من سقـوط آدم الأول، وفى حنان سكبت نفسك حتى تتجمع فى حضن أبيك.

وأنت ايضاً يجوز فى نفسك سيف

مـا أعـجب صـلاتك يا رب من أجل مضطهديك لأنهم لا يعرفـون مـاذا يعـملون!! ومـا أعـجب وعـدك بالفـردوس للص اليـمين وأنت مـعلق على الصليب، إذ أنك السيـد الملك. وما أعجب فرحك على الصليب بعـد أن ذقت الخل لأنك قـد أكملت كل النبوات قبل أن تموت. نعم فقد وُلدت من أجلنا وتألمت من أجلنا ومتَّ من أجلنا ثم قمت ايضاً من أجلنا ومن أجل خلاصنا.

ومـا أعـجب أن تكون أول قـدم وطئت الفـردوس هى قـدم هذا اللص الطوباوى ديماس الحلو اللسان والمنطق، والذى جعلته ملكاً للتائبين لتعلمنا أنه ليس من يبدأ حسناً هو الكامل بل الذى يبدأ ويكمل ويواصل إلى التمـام هو الذى يربح الميراث الأبدى.

وما أعجب صليبك لأن أسماءنا قد نُقشت عليه، وما أعجب موتك الذى يبعث الأموات إلى الحياة وما أطهر جرحك الذى يجدد القوى. وما أعجب قطرات دمك المنسابة لأن بها تمحى خطايانا واحدة فواحدة، وما أعجب محاكمتك التى حملت فيها خطايانا بينما أنت الديان والحاكم العادل والقاضى المعين لفحص كل إتهام، وما أعجب قبولك لحكم الموت دون أن ينفصل لاهوتك قط لا عن نفسك ولا عن جسدك، إلا أنك بذلك ألغيت قانون حكم الموت الأبدى بكل مشتمـلاته، ومـا أعجب طعنة الحربة التى فتحت باب صمـام الحياة ليفيض من جنبك نهر أسرار

الكنيسة ويخرج منه دم الكأس لمغفرة الخطايا وماء الجرن المحيية التى للحياة الأبدية.

ما أعجب أن تكتب علة صلبك *Titulus* «يسوع الناصرى ملك اليهود» إلا أن فى هذا إعلان ملكوتك، وبأنك ملكت على خشبـة وأن صليبك هو عـرشك وأنك لست ملكاً لليهود لكنك ملكاً للعالم كله، وملك الملوك ورب الأرباب، ملك الدهور الذى لا يفنى (١تى١ :١٧).

مـا أعـجب قـولك «إلهى إلهى لماذا تركتنى» لأنك جعلت نفسك واحداً منا تتكلم باسم الطبيعة البشرية كلها فبآلامك الإلهية وحدها تم خلاصنا وشفاؤنا، لأنك لو لم تكن قد خفت لما كانت طبيعتنا قد انعتقت من الخوف، ولو لم تكن قـد حزنت لما كنا تخلصنا من الحزن، ولو لم تكن قـد بكيت بشرياً لم جنـفـفت دموعنا، وهكذا بتدبيرك الخلاصى صرت ضعيفاً فى بشريتك لكى تبطل ضعفاتنا. وما أعجب الطلبات التى قدمتها للآب فى بستان جشيمانى لكى تجعل آذان الآب صاغية لصلواتك فنأخذ نحن شجاعة لائقة بالله ولا نخاف فيما بعد من الموت.

مـا أعـجب أن تسند رأسك على الصليب وتسلم روحك سـاكبـاً إياها بنفسك فى يد الآب لأنه ليس أحد يأخذها منك بل أنت تضعها بسلطانك. وما أعجب أن يقال أنك سلمت الروح بدلاً من أن يقال أنك مت، لتضع لنا بداية وأساس الرجاء الثابت. فنحن نؤمن أن نفوس القديسين عندما تفارق أجسادها الترابية تسلم فى يدى الآب المحب، ولا تكون مثل نفوس الأشرار التى تسلم إلى عذاب لا نهـاية له أى الجحيم.

ما أعجب أن يأتى يوسف الرامى ذلك الرجل البار الصالح والمشير الشريف الذى ينتظر ملكوت السموات، ليطلب من بيلاطس جسد المسيح المصلوب، بينمـا هى مجازفة أن يقدم على هذا العمل العظيم والجرئ عندما تخلى الكل عن المصلوب، فتقدم بشجاعة يطلب الجسد المقدس ونال هذه الكرامة العظيمـة. وما أعجب أن حجر الزاوية المختار الكريم يرقد قليلاً خلف حجارة القبر بينما هو صخرة الخلاص الكلية. وما أعجب أن تدفن فى بستان يا رب لأن فى ذلك خلاص لآدم الذى مات موت الخطية فى بستان، فدفنك أيها السيد فى بستان مثيله كان لتزيل تبعة الجناية عنا ولتردنا إليك ثانية.

ما أعجب أن تضع ذاتك وتأخذها بسلطانك وبحسب الوصية التى قبلتها من أبيك، حتى أنك قلت «قد أكمل» ونكست الرأس وأسلمت الروح لكى بدم عهدك تطلق الأسرى الذين فى الجب، وترجع إلى الحصن أسرى الرجاء (زك٩: ١١) وتضم الذين سباهم الشيطان وتصعد فوق جميع السموات لكى تملأ الكل ولكى تشفى لعنة الأرض.

يوسف ونيقوديموس
يطلبان جسد يسوع

ما أعجب إنشقاق حجاب الهيكل إلى إثنين من فوق إلى أسفل، فقد حدث هذا ليكون لنا ثقة فى الدخول إلى الأقداس بدمك بعد أن كرست لنا طريقاً حياً بالحجاب أى جسدك (عب١٠: ١٩). إنه إنفتاح قدس الأقداس. فبموتك انفتح باب السموات للنمرة الأولى لكى بدالتك ندخل قدس الأقداس الإلهية خلال إتحادنا بك، بعد أن فارقت نعمة الله الهيكل القديم لتفتح لنا باب الهيكل الجديد.

ما أعجب أن تسلم روحك لله أبيك لكى بهذا تحسن إلينا، لأن نفوس الناس فى القديم كانت ترسل إلى المواضع السفلية المظلمة لكى تملأ سراديب الموت، لكن منذ أن سلمت الروح فقد افتتحت لنا هذا الطريق الجديد، فإننا لن نمضى إلى الجحيم بل بالحرى سنتبعك فى هذا ايضاً، بعد أن نكون قد استودعنا نفوسنا للخالق الأمين (١بط ٤: ١٩) فى رجاء الخيرات العتيدة وأنت ستقيمنا جميعاً.

ما أعجب أن موتك كان سريعاً (مر ١٥: ٤٥) إذ أنك سلمت الروح عندما وجدت أن كل شئ قد أكمل، لأن روحك لم تنزع منك بل أنت الذى تنفستها

خارجاً. لقد لفظت النفس الأخير وسلمت الروح لتكمل عقوبة الموت بالجسد معنا وعنا وكفارة عن خطايانا.

ما أعجب أن ترفع وتبيد فى الحال حكم الموت، لأنك أعلى من الجميع: كلمة الله، فإذ قد صرت إنساناً حققت إبادة الموت وقيامة الحياة. وما أعجب موتك لأجل الجميع ليعيش الجميع، إذ أنك العظيم الأبدى الذى خلق الإنسان على غير فساد، وبموتك أعطيتنا الخلود لأنك صورة الآب، وجئت إلى عالمنا لتجدد الإنسان المصنوع على صورته، كواحد قد ضل، وبك وحدك نقضت كل أعمال أبليس (١يو٣: ٨)

ما أعجب أن تموت بسرعة تعجب لها بيلاطس، وما أعجب أن يأتى يوسف عضو السنهدرين والذى كان تلميذاً لك، والذى لم يكن راضياً عن إدانتك وصلبك، وقد نال تصريحاً ليقوم بواجب دفنك ومعه نيقوديموس، وقد أحضروا معهم الكتان ومزيج من المر والعود ليكفنوك كعادة اليهود.

ما أعجب أن يحملك يوسف الرامى ونيقوديموس بينما أنت الذى تحمل المسكونة كلها على كفك، وما أعجب نزولك من على خشبة الصليب بينما أنت الذى تعلق الأرض كلها على لا شئ، وما أعجب أن يحملوك بينما أنت الذى تحمل الكل فيك وتجمع الخليقة كلها فى شخصك. وما أعجب أن يأتوا إليك بالطيب والحنوط بينما أنت منبع كل الأطياب والعطور والذى تجعل البحر كقدر عطارة.

ما أعجب ما صنعته فى نفوس اللص اليمين وقائد المئة وبيلاطس وكذلك فى نفوس يوسف ونيقوديموس اللذين ذهبا ليطلبا جسدك ولم يخافا من بطش بيلاطس وإنتقام اليهود. وما أعجب ما صنعاه: حملا الجسد وذهبا إلى البستان حيث القبر الذى نقره يوسف. ويالى كرامة هذين الشيخين اللذين لمست أيديهما جسدك المصلوب ومسحت دمك المسفوك بإكرام جزيل وسخاء وحب شديد.

ما أعجب نزولك من على الصليب وانتزاع المسامير والأشواك المغروسة فى جسدك بواسطة يوسف الرامى ونيقوديموس اللذين مسحا دمك الذكى الكريم وكفناك وطيبا جسدك بالعطور والأطياب.

ما أعجب نزولك من على الصليب، إذ عندما رأى قائد المئة ما كان معك، مجّد الله وشهد بالحقيقة أنك بار وأنك ابن الله، فبينما شاهد من قبل كثير من المصلوبين يموتون، كان موتك فريداً يهز أعماق القلوب، خاصة وأنك ناديت بصوت عظيم «يا أبتاه في يديك استودع روحي» وأن جموع الذين كانوا مجتمعين رجعوا بعد صلبك وهم يقرعون صدورهم. ما أعجب انتحاب الطبيعة وإنشقاق حجاب الهيكل وقت نزولك من على الصليب. فعظيم هو سلطانك أيها المصلوب. (الشمس أظلمت والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وحجاب الهيكل إنشق).

ما أعجب انزال جسدك من على الصليب في اليوم السادس ووقت الغروب، لأنه يوم الاستعداد ولأنك صنعت الخليقة في ستة أيام وفي اليوم السابع استرحت. وما أعجب أنك لم تسمح بأن يكفنك تلاميذك حتى لا يقوم الاتهام بأنهم سرقوك دون دفنك، بل كفنك رجل شريف وبار، وقد تأكد الكل من دفنك عندما ختم القبر.

وما أعجب ما قاله قائد المئة «حقاً كان هذا ابن الله». فلقد ارتفعت يا رب لتجتذب إليك الجميع، لتجتذب هذا القائد وكثيرين ممن كانوا معه ولتجتذب اللص ديماس.

إنزال المسيح من على الصليب

ما أعجب الظلمة التى سادت على وجه الأرض في وقت صلبك. وما أعجب إنقباض الدرارى فلا نهار ولا ليل، نعم إنتحبت الطبيعة ذاتها لموت رب الطبيعة، إلا أن الساعات الثلاث التى سادت فيها الظلمة تحولت إلى نور يكتسح إلى الأبد، وصارت نصرة لسلطان النور. وما أعجب عتابك للكهنة والجند والشيوخ الذين مدوا عليك الأيادى في ساعة الظلمة، وجاؤا إليك في الليل بينما كانوا يلتقون معك في الهيكل

كل يوم ليتمتعوا بأشعة برك وإشراقات محبتك والحكمة التى كانت تخرج من فمك.

ما أعجب رأسك التى نكستها إذ أنه لم يكن لك أبداً أين تسند رأسك، وأخيراً سندتها على الصليب، كمن يستسلم للنوم، ثم أسلمت الروح، لأن روحك لم تؤخذ منك كأى بشر، بل أنت تسكبها بنفسك وبإرادتك، تسكبها في يد الآب، كمن يستودع وديعة. وما أعجب قبرك الذى دفنت فيه الفساد والظلمة، وتركته منيراً فارغاً تفوح منه رائحة أطياب وعطور الحياة.

وما أعجب موتك لأنه حياة الجميع وبه سلمتنا النصرة والغلبة وسر الحياة إلى الأبد، وما أعجب رأسك التى نكستها لترفع بها رؤوسنا في قيامتك في اليوم الثالث.

حقاً انك معى ومن أجل تتألم، ومن أجلى ونيابة عنى وفي مكانى أنت حزين بينما لم يكن عندك سبب في نفسك يجعلك تحزن أو تتألم. فجروحى يا رب يسوع وليس جروحك هى التى آلمتك، وكما أن موتك قضى على الموت وجروحك قد أبرأت كل الجروح، هكذا أحزانك قد أزالت أحزاننا. لهذا كله أسبحك مع كنيستك: «لك القوم والمجد والبركة والعزة إلي الأبد آمين. عمانوئيل إلهنا وملكنا. قوتى وتسبحتى هو الرب وقد صار خلاصاً».

ما اعجب أن يكفن يوسف البار جسدك باللفائف وبالطيب التى هى جمالك وبرك غير الموصوف. ما أعجب أن تكفن بكفن جديد وتوضع في قبر جديد بينما لم يكن لك مقبرة خاصة بك، لأن القبر يقام من أجل الذين يتعرضون لقانون الموت، أما أنت فغالب الموت وليس لك مقبرة ملكاً لك.

دفن المسيح

ما أعجب أن لا تدفن مع آخرين بل تدفن وحدك، وما أعجب أن يوضع الحجر على

قبرك ليكون صخرة أساس الإيمان. ما أعجب كتانك الأبيض ورائحة أطيابك ومصاحبة الملائكة لقبرك، إذ أنك مت لتقوم من بين الأموات كعربون لقيامتنا كلنا، منتصراً على الموت والجحيم والشيطان وجميع جنود الظلمة.

ما أعجب أن تدخل بالليل إلى الجحيم لتفك قيود المأسورين فى الظلمة لتنطلق بهم إلى نور الفردوس الذى بلا ظلمة. وما أعجب القبر الذى صار مصدر النور والحياة وأشرقت منه حقيقة الغفران بينما كان قبلاً مستودع الظلام والموت. وما أعجب أن يدحرج الحجر وينفتح باب القبر مهما كانت الأختام والحراسات.

ما أعجب نزولك إلى الجحيم لتحرر أسرى الرجاء وما أعجب دخول الحياة إلى عالم الموت، حيث تزلزل الجحيم وإنكسرت شوكة أبليس بإفتدائك النفوس التى كانت مباعة بسبب الدين. ما أعجب الدين الذى وفيته فمزقت الصك وأرعبت قوات الجحيم وطرحت التنين وخلصت نفوس الراقدين وكرزت للأرواح التى فى السجن لأنك صانع العجائب (خر١٥ :١١).

ما أعجب نزولك إلى الجحيم لتنزع عار آدم وبنيه وتعتقهم من أسر العدو، لأن بيدك تعظيم وتشديد الجميع، فليس إله مثلك حافظ العهد والرحمة. وما أعجب عجائبك التى بها أذبت الآكام الدهرية، وبفروسيتك صنعت خلاصاً وكسرت قسى الأقوياء، ومنطقت رجالك بالقوة لأنك خرجت لخلاص شعبك ولتخلص الذين مسحتهم لأن اسمك عجيب يا رب فى كل الأمم.

نزول المسيح إلى الجحيم

ما أعجب أن تنزل يا رب إلى أقسام الأرضّ السفلية لتعلن مجيئك لهؤلاء الذين كانوا ينتظرونك على الرجاء، وقد سبق وأخبروا بمجيئك وأطاعوا وصاياك. ما أعجب أن يكون موتك بالنسبة لهؤلاء الأنبياء والبطاركة والأتقياء شفاء لهم ومغفرة لخطاياهم. ما أعجب أن تقول للأسرى اخرجوا وللذين فى الظلمة تقدموا. ما أعجب

أن تنادى على هؤلاء الآباء العظام لأنك أنت إله الكل وأعظم من الكل. ما أعجب أن تربط القوى بالصليب وتدخل بيته أى الجحيم ثم تصعد إلى العلا من أجل الذين كانوا فى قبضة الموت بسبب الحكم. لقد دمرت مملكة الموت وأطلقت سراح أسرى الرجاء، وكسيد نزلت لكى تخلص، وكمحيا فى الروح ذهبت لتكرز وعندئذ رآك بوابوا الجحيم فارتعدوا، أما هؤلاء الآباء الذين أُغلق عليهم كانوا يصرخون طالبين الرحمة والخلاص حتى أظهرت لهم سر خلاصك الذى كانوا ينتظرونه بنزولك إلى الجحيم.

القبر الفارغ

ما أعجب قبرك الفارغ الذى تركته لنا يا رب مفتوحاً لأنه علامة الغلبة على الموت وشهادة على قيامتك التى بها نبشر. وما أعجب محبيك الذين قدموا إلى قبرك ومعهم الهدايا والعطور والمشاعر التى هى أثمن من الذهب الفانى، يسكبونها عند جدران قبرك المجيد والممجد، فى إيمان وخشوع وهم يقبّلون حجارة القبر وصخرته المنقورة، وهناك يذرفون الدموع.

ما أعجب أن القبر بعد أن كان مستودع ظلام وموت صارت تشرق منه حقيقة النور والغفران، فلا بكاء ولا نحيب بل قوة قيامتك قد سرت بالرغم من الأحجار والأختام.

وما أعجب أن يكون قبرك

جديداً لم يُوضع فيه أحد من قبل.

ما أعجب قبرك الفارغ الذى برهن على قيامتك التى بها نقضت أوجاع الجسد وأسست الرجاء. وما أعجب أن ترضى أن توضع فى قبر، ولكن بينما جميع الأموات يتركون هكذا إلى الأبد، قمت أنت فى اليوم الثالث لتلتقى عند القبر مع محبيك وتعود سريعاً إلى التلاميذ فى العلية، تاركاً الأكفان لتحى ضمائرنا من كل الأعمال الميتة.

ما أعجب قيامتك غالباً الموت بعد عبور حزن السبت. ما أعجب أن تقوم يا رب والحجر مختوم على باب القبر كما وُلدت من البتول وهى عذراء (حز٤٤: ١). وما أعجب دحرجة الملاك للحجر عن باب قبرك، لكى تعلن لنا قيامتك. وما أعجب أن تكون الملائكة داخل قبرك وخارجه، فقد حولت القبر كما إلى سماء تشتهى الملائكة أن تسكن فيه بعد أن كانت القبور مسكن الأرواح الشريرة.

ما أعجب خروجك من القبر وهو مغلق. وما أعجب النسوة اللاتى أخذن معهن الطيب بينما أنت قمت. لقد قبلت الصليب كى تثبت للناس ناسوتك وقبلت القيامة كى تثبت لاهوتك. فقيامتك والأختام قائمة كانت نظير لما تم فى ميلادك من القديسة مريم الدائمة البتولية. وما أعجب دحرجة الحجر بعد القيامة من أجل النسوة ليؤمنوا أن الرب قام ناظرين الحق وأن القبر بدون جسد.

قيامة المسيح

ما أعجب الملاكين اللذين كرزا بقيامتك للنسوة عند باب القبر وكأنك أشركت السمائيين فى إعلان بهجة قيامتك مؤكدين أنك لست ههنا لكنك قد قمت.

وما أعجب أن يرفع الرؤوساء أبوابهم وأن ترتفع الأبواب الدهرية لكى تدخل فى ملك مجدك وتجعل باب الفردوس مفتوحاً بعد أن كان مغلقاً أمامنا.

ما أعجب قيامتك من الموت ناقضاً أوجاع الموت وجراح الصليب وحقد الحاقدين، بينما أنت تعيد الإيمان للمؤمنين وتسجل الدينونة على رؤوس الذين أسلموك حسداً، وتحول عثرة الصليب إلى فخر للذين قبلوك، وبقيت علة هلاك للرافضين وإلى اليوم صليبك باق كما هو حجر عثرة للذين يرفضون وسبب مجد للذين يقبلون.

ما أعجب ثوبك الأبيض المشرق بالفرح الحقيقى الذى جعل العدو يهرب والملكوت يستعاد. وما أعجب قيامتك لأن فيك كانت الحياة ولأنك حى إلى أبد الأبدين ولك مفاتيح الهاوية والموت (رؤ١: ١٨). وما أعجب أن تغلب الهاوية وتكسر شوكة الموت بقيامتك، بل وتصير باكورة الراقدين. ما أعجب قول الإنجيل أن تلميذك لما رأى المنديل والأكفان مرتبة هكذا «رأى وآمن» (يو٢٠: ٨).

إن عيد قيامتك هو ملك الأعياد وعيد الأعياد كلها. فما أعجب أن تغلق الكنيسة أبواب الهيكل قبل عمل تذكار قيامتك إشارة إلى غلق أبواب الفردوس بواسطة آدم، لكى بفتحه نتذكر خلاصك وزوال العداوة التى تسبب فيها آدم وذريته بغواية أبليس. ما أعجب فتح قدس الأقداس السماوى فى هذه الليلة. وما أعجب ما ترتده الكنيسة عن فتح الأبواب الدهرية وعن رفع الملوك للأبواب: فالكاهن رسم للمسيح والهيكل رسم للسماء، وهذه هى الترنيمة النبوية التى أنشدتها الملائكة.

ما أعجب استعداد الكنيسة لإستقبالك ظافراً فائزاً غالباً الموت فى ليلة القيامة، إذ نحتفل ليلاً لنعاين قيامتك باكراً والظلام باق (يو٢٠: ١) حيث صياح الديك. وما أعجب أن نطوف بأيقونة قيامتك لننشر ونبشر بقيامتك ونعاين مع التلاميذ والنسوة أفراحها.

من إصدارات إكثوس IXΘΥΣ

١) سلسلة آباء الكنيسة

١) القديس ايريناؤس اسقف ليون .
٢) العلامة بنتينوس السكندرى .
٣) العلامة يوسابيوس القيصرى .
٤) القديس ديديموس الضرير .
٥) العلامة لاكتانتيوس .
٦) القديس ميثوديوس الاوليمبى .
٧) إغريغوريوس صانع لعجائب
٨) القديس إيڤاجريوس البنطى
٩) القديس هيلارى أسقف بواتييه
١٠) الرسالة إلى ديوجنيتس
١١) القديس أبيفانيوس
١٢) أمهات قديسات
١٣) العلامة ترتليان
١٤) القديس إيسيذروس الفرمى
١٥) جُهّال من أجل الله
١٦) ثيؤفان الحبيس
١٧) القديس كيرلس الكبير ورسائله ضد النسطورية
١٨) القديس أموناس ورسائله إلى الرهبان

١٩) الآباء المؤرخون
٢٠) القديس بوليكاربوس أسقف سميرنا
٢١) القديس يوحنا التبايسى
٢٢) القديس ألكسندروس بابا الاسكندرية
٢٣) أفراهات السريانى
٢٤) القديس إيلاريون الكبير
٢٥) يوحنا كاسيان
٢٦) القديس يوستين والمدافعون
٢٧) القديس ديونيسيوس السكندرى
٢٨) البابا أثناسيوس الرسولى – ترجمة لكتابه دفاع عن قانون إيمان مجمع نيقية
٢٩) القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة
٣٠) القديس يعقوب البرادعى

٢) دراسات أبائية

١) الكنيسة فى فكر الآباء
٢) الإستشهاد فى فكر الآباء
٣) البتولية فى فكر الآباء
٤) اللاهوت فى فكر الآباء
٥) رحلة الكنيسة فى الصوم الكبير
٦) التربية عند آباء البرية
٧) صلاة يسوع
٨) سيكولوچية الاعتراف

الفهرس

المقدمة ---------- ٧

أسبوع الآلام في طقوس الكنيسة ---------- ٨

ذكرى آلامه المقدسة ---------- ١٩

من إصدارات إكثوس ---------- ٦٢